الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة يحيى فارس –المدية-

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جدلية غياب الشخصية وحضورها في الأدب الكولونيالي
رواية أن تملك وألاّ تملك لـ إرنست همنغواي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبين :

- *محمد مشتي*
- *كمال رافع*

إشراف الأستاذ

أ - فوزي لدزر

السنة الجامعية : 2020 /2019

1442/1441 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

يسعدنا في بداية عملنا أن نتقدم بالشكر الخاص لأستاذنا الكريم فوزي لدزر مشرفا وموجها

على هذا العمل المتواضع ،ونتوجه بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة الممثلة بالدكتور محمد سرير،والأستاذ أحمد فجر على قبولهم مناقشة مذكرتنا

والشكر موصول أيضا إلى كل أساتذة ماستر 2 أدب حديث ومعاصر ،وإلى كل من ساهم

من قريب أو بعيد وخاصة الأستاذ الفاضل صالحي سعيد

مع كل التقدير والمحبة للجميع

محمد مشتي

كمال رافع

إهـــــداء

إلى والدي الكريمين حفظهما الله وأطال في أعمارهما

إلى زوجتي أبنائي : عبد الفتاح ، هديل ،عبد الودود،ماريا رانيا

إلى أبناء أخي : محمد أمين ، أبرار، إياد

إلى أخي ،وأخواتي

إلى كل من علمني حرفا في هذا الوجود

إلى كل محبي اللسان العربي

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

محمد مشتي

إهـــــداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين ،وكل العائلة

إلى كل الأصدقاء والزملاء

إلى كل الأساتذة الأفاضل

كمال رافع

مـــــقـد مـة

مقدمة :

يعتبر الأدب ترجمانا للحالة الثقافية للشعوب التي تمثل المركز أو نظيرتها التي توصف بالهامشية ، وهذا التقسيم صاغته تجربة الاستعمار سواء في إفريقيا أو آسيا أو في بلدان أمريكا اللاتينية والذي نتج عنه تعارض حاد في ثقافة الشعوب المستعمرة .

لذا تراوحت الكتابة بين كاتبين ، كاتب يجامل بكتاباته، وآخر يبحث عن ذاته بإثبات هويته والتشبث بها ، وهذا ما أطلق عليه بآداب الكولونيالية ومابعد الكولونيالية ، فالأولى مثلت القوة والسيطرة ونظرتها الاستعلائية ،هدفها إخضاع الآخر لأوامرها وذلك من خلال إهانته واستغلال خيرات بلاده ، أما بعد الكولونيالية تجلت في الرؤية المناهضة للاستعمار والمتمثلة في تفكيك أبنية فكرية ثقافية غرستها الكولونيالية في أذهان مستعمراتها.

من هنا تشكلت المواجهة مع الغرب سواء عن طريق المجابهة الاستعمارية أو الثقافية ، في كلا الحالتين عانت الشعوب الضعيفة الظلم والاستبداد والتهميش والهيمنة ، لأن الاستعمار الثقافي أخطر من الاستعمارالعسكري .

والنقد الثقافي هو من كشفت الأنساق المضمرة ، وهذا ما تجسد في فن الرواية من خلال الأدب الكولونيالي، وأبان عن ما يكنّه الغرب للشرق بصفة عامة وللمسلمين بصفة خاصة، ونظرا لما يحمله هذا الموضوع من أهمية كبيرة لكونه مرآة عاكسة لحقيقة الدول المستعمِرة ،وأنه أدب شهد على العنصرية والتهميش ،غايتنا من وراء ذلك الوصول إلى معرفة الأهداف التي سعى ويسعى إليها المستعمر ، وبما أن الأدب الكولونيالي هو الجزء المظلم من تاريخ أمتنا .

وانطلاقا من تخصصنا الأدبي اخترنا هذا العنوان للوقوف على الصورة السلبية التي رسمتها الذات الأوروبية للآخر غير الأوروبي من خلال الأنساق الثقافية المخبوءة تحت عباءة الجمالي.

وبناء على هذا يمكننا أن نتساءل عن كيفية تصوير الأدب الكولونيالي لشخصية الآخر المستعمَر .؟ وماهي الخلفيات الثقافية المضمرة التي حملتها الرواية الكولونيالية .؟

هذا مااستوقفنا في بحثنا المتواضع ، والذي من خلاله تناولنا بالدراسة جدلية غياب الشخصية وحضورها في الأدب الكولونيالي ، رواية أن تملك وألاتملك لـ إرنست هيمنغواي أنموذجا، وهذا وفق المنهج التحليلي المقارن على ضوء آليات النقد الثقافي الذي يُعْتَبَر من أهم المقاربات النقدية المعاصرة، وذلك بتفكيك النصوص والنظر فيها لأنها تعكس ثقافة الآخر في الخطاب الأدبي.

ومن هنا جاء بحثنا وفق خطة منهجية تتجلى في ، مدخل وفصلين ، حيث تناولنا في المدخل أهمية النقد الثقافي في فك الشفرات الظاهرة والمضمرة، إلى جانب دراسة علم الصورة أو الصورولوجيا ، لكونها تساهم في بناء علاقة التواصل بين الشعوب للتفاعل الثقافي ، وأنها تقوم بدراسة الآخر الذي لا نتوصل إليه إلا عن طريق صورته الثقافية .

أما الفصل الأول النظري تناولنا فيه الاستشراق ودوره في رسم صورة سلبية عن الشرق لأنه يمثل حفرا معرفيا عميقا في العديد من الخطابات التي نشأت من المستشرقين الغربيين ، فهو الأسلوب الغربي للسيطرة على الشرق حسب إدوارد سعيد .

ثم قسمنا الفصل إلى ثلاث مباحث وكل مبحث إلى مطلبين ، فجعلنا المبحث الأول تحت عنوان الاستشراق نشأته تطوره وأهدافه ، وتفرع إلى مطلبين ، فالمطلب الأول عنوانه الاستشراق بداياته ومراميه ، وفيه عرفنا الاستشراق لغة واصطلاحا ثم نشأته وتطوره، وبعدها أهدافه ، أما في المطلب الثاني الذي كان بعنوان أصناف المستشرقين وعلاقة الاستشراق بالاستعمار تحدثنا فيه عن أصناف المستشرقين وعلاقة الاستشراق بالاستعمار.

وفي المبحث الثاني من الفصل الأول ،الذي كان موسوما بعنوان صورة الإفريقي والعربي في الأدب الكولونيالي وهو الآخر تفرع إلى مطلبين ، الأول بعنوان الأدب الكولونيالي مفهومه دلالاته ونشأته ، تطرقنا فيه إلى تعريف مصطلح الكولونيالية وبعدها نشأتها وتوسعها ، ثم مفهوم الأدب الكولونيالي ، والمطلب الثاني عنوانه علاقة الكولونيالية بالأدب ونظرتها للآخر ، عالجنا فيه علاقة الأدب بالكولونيالية وصورة الآخر الإفريقي والعربي في هذا الأدب.

أما المبحث الثالث والأخير من الفصل الأول عُنْوِنَ بـ الدراسات مابعد الكولونيالية ودورها في كشف الأنساق المضمرة في الأدب الكولونيالي ، وتضمن هذا المبحث مطلبين الأول عنوانه أدب مابعد الكولونيالية تعريفه ،أسسه المعرفية والفكرية وأهم رواده ، أما المطلب الثاني للمبحث الثالث من الفصل الأول كان عنوانه دور الكتابة في تفكيك الموروث الاستعماري ونظرتها للآخر(الغربي) وتطرقنا فيه إلى الرد بالكتابة وكشف صورة الآخرالغربي في ظل كتابات مابعد الكولونيالية .

وجاء الفصل الثاني التطبيقي بعنوان الأدب الأمريكي وتصويره للزنوج ، وقُسِّمَ إلى مبحثين ، الأول منهما بعنوان الحركة الزنجية عبر الثقافات المختلفة ، وكان في مطلبين تناولنا في الأول الحركة الزنجية ، مفهومها ،نشأتها، مرتكزاتها . أما الثاني عنوانه الزنجية في الثقافة الغربية والأمريكية

أما المبحث الثاني من الفصل التطبيقي كان تحت عنوان دلالة غياب الشخصية وحضورها في رواية أن تملك وألاّ تملك ، فحللنا هذا العنوان تحت مطلبين ، الأول تجلى في غياب الشخصية الزنجية أو تغييبها في الرواية من خلالها صمتها وتحقيرها ووصفها بألفاظ دونية ، والمطلب الثاني من المبحث الثاني للفصل التطبيقي فقد كان حول دلالات حضور الشخصية الزنجية في الرواية من خلال حضورها مع تجسيد العبودية في ظل هذا الحضور .

ولإنجاز هذا العمل المتواضع اعتمادنا مجموعة من المصادر والمراجع ،والتي مثلت لنا زادا علميا ثريا فيما يخص الموضوع المطروق منها:

- رواية أن تملك وألاّتملك لـ إرنست هيمنغواي
- الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء لـ إدوارد سعيد
- الثقافة والإمبريالية لـ إدوارد سعيد
- الاستشراق رسالة استعمار لـ محمد إبراهيم الفيومي
- في نظرية الإستعمار ومابعد الاستعمار الأدبية لـ آنيا لومبا
- الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة لـ بيل آشكروفت

- صورة الآخر في الخيال الأدبي لـ توني موريسون
- الأدب الإفريقي لـ علي شلش
- صورة الآخر في التراث العربي لـ ماجدة حمود

ورغم هذا واجهنا بعض الصعوبات التي لا يكاد يخلو كل بحث منها ، كيفية التعامل مع المكتبة الإلكترونية التي تختلف عن الكتب الورقية ، إلى جانب الكتب المترجمة التي يتغير مضمونها بين الزيادة والنقصان وحسب فهم المترجم ذاته و الموضوع المتناول في حد ذاته هو محل خلاف بين الدارسين ، مما أدى إلى كثرة المؤلفات والدراسات حوله ،ولا ننسى الانقطاع عن مكتبة الكلية للظروف التي يعلمها الجميع .

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل لدزر فوزي على مابذله من جهد من أجل إتمامنا لهذا العمل ولم يبخل بالمراجع والتوجيهات القيمة ، فله منّا خالص المحبة مع كل التقدير والاحترام.

مـــد خـــــــل

مدخل

يعتبر النقد الثقافي وسيلة لكشف الأنساق المضمرة التي يتضمنها الخطاب الثقافي لأية أمة من الأمم مما يجعل هذا الأخير مستساغا لدى المستهلك الثقافي الجمعي .

وهو بدوره يعمل على فك الشفرات الظاهرة والمضمرة أي الواعية واللاواعية داخل البنيات الثقافية في المجتمع ، في الخطاب الأدبي خاصة الرواية.

وقد سعى هذا الأخير إلى بناء ثقافة خالية من النزاعات كالاحتقار والتمييز العنصري بين الأفراد والجماعات أو بين الشعوب وثقافتها في العالم ككل ،لأن الهدف من هذا الخطاب هو التمكن من بناء ثقافة أساسها الاحترام ،من خلال دراسة الصورة أو الصورولوجيا ، والتي تعد اتصالا مفتوحا بين الشعوب لتفاعل الثقافات المختلفة ،لأن فهم المجتمعات لا يكمن إلا في ظل تشكيل صورة عنها والتي تقود الى معرفة كل مضمر في مكامن الذهن وتصوراته، فهذه الأخيرة (الصورة) تخترق المخزون الثقافي وتجعله بنية ناطقة ، ومنه تتفتح الذاكرة من الخاص الى العام لصناعة خطاب موحد يشترك فيه الجميع .

والصورولوجيا إحدى آليات الخطاب التي تضيء مآربه في مسايرة الأحداث ، وكشف عالمها ، وموضوع الصورولوجيا هو دراسة الآخر الأجنبي ،وذلك من خلال أثره أو أدبه وثقافته بصفة عامة.

وعلم الصورة حسب ماجدة حمود :"أحد فروع الأدب المقارن وهي تحتاج مثله إلى أدوات الناقد من معرفة بالعلوم الإنسانية (التاريخ ، علم النفس ، علم الاجتماع) ، والمناهج النقدية الحديثة، كما تحتاج إلى مؤهلات ذاتية كالذوق وغيرها من الأدوات التي تساعد على تلمس الجمال."[1]

فعلم الصورة مرتبط بالأدب حيث أنه يعمل على دراسة المجتمعات ، وعلى من يمارس هذا النشاط أن يكون متسلحا بعلوم أخرى تساعده على إزاحة ضبابية التقارب بين المجتمعات للوصول إلى خاصية كل مجتمع ،وخاصة علم النفس والاجتماع والتاريخ ، لأنها علوم تبحث في أعراق وأصول الأمم والمجتمعات ، وهذا لأجل بناء علاقة بين الأنا والآخر، في هذا الصدد يقول الدكتور سمير خليل :" ومن هنا نجد اهتمام الدارسين والنقاد بها حتى تخطى هذا الاهتمام منحاها الأدبي الى اتجاهات جديدة تأخذ بعين الاعتبار السياقات المعرفية الاخرى منها الثقافية والفكرية والاجتماعية ، لما تكتنزه الصورة من دلالات ناشرة ضوءها على ملامح الشعوب ،وثقافاتهم المتباينة ،ولما تحمله من إمكانات تعبيرية تسهم في تعميق فهم الذات والآخر الثقافي " [2]

---

(1) ماجدة حمود ، صورة الآخر في التراث العربي ، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان ط1 ، 2010، ص 09

(2) سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ص211

ومن هنا يتجلى عمل الصـورولوجيا،وهي التي تنطلق من دراسـتها للآخر فهو **مو**ضوعها لأننا لا نعرف الآخر إلا إذا درسنا الصورة الثقافية الخاصة به .

وهي أيضا كل عمل ترصده الشعوب عن بعضها البعض لأن الصورة ترجمان عن اللاوعي فهي امتداد لما يحاك بالذات ، وتمثل الصـــورولوجيا دورا هاما في إبراز الأنا لأن علاقة الأنا بالآخر تجسد الوصف الحقيقي للذوات وصراعها الدائم .

تقول الدكتورة ماجدة حمود :" ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر قامت الأديبة الفرنسية المعروفة مدام دوستال بزيارة طويلة لألمانيا وذلك في وقت تصاعد فيه العداء بين الشعبين الفرنسي والألماني فقد تحقق لها أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع،والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا ، فرســموا في أذهانهم صورة لشعب فظ غير متحضر إنها باختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر يعدّه عدوا له ، وبذلك حاولت الأديبة معرفة الاقتراب بعقلها من الآخر ،واســتطاعت أن تقربه من صورته الحقيقية بفضل بحثها الذاتي عن الحقيقة ".[1]

فالصورة التي ارتسمت في أذهان الفرنسيين كانت خاطئة لأنها لم تُبْنَ على أسس واقعية تسمح بتقارب الشعبين ،غير أن الأديبة مدام دوستال بنت صورتها عن الواقع لأنها تمكنت من معرفة الآخر عن قرب مما جعلها تصدر أحكاما منطقية تستند عليها الصورولوجيا لدراسة المجتمع الألماني ،فهي تهتم (الصورولوجيا) بالجانب النفسي والاجتماعي وكذا المقتطفات الأدبية المختارة .

---

(1)- ماجدة حمود ،صورة الآخر في التراث العربي ، ص10-11

يقول سعيد علوش :"وتعتمد الصورولوجيا على مفاهيم الدرس السيكولوجي والسوسيولوجي /الاثنولوجي ، وهي بذلك عبارة عن تداخل دروس العلوم الانسانية بالأدبية ". [1] وانطلاقا مما سبق يمكننا الوقوف على عتبات التاريخ لنستشف العلاقة بين الغرب والشرق والصورة التي تشكلت في الذهن الغربي عن الآخر الشرقي .

لقد بذل الغرب جهدا كبيرا من أجل تشويه صورة الآخر،و ذلك بالاستعلاء عليه والتمايز وفرض الوجود،مشوها ومحرفا كل مايتعلق بالآخر ،وقد لاتكون المعرفة غير المباشرة للبلد الأجنبي مصدرا من مصادرالصورة عنه لأن الصورة لاتخضع الى مطالعات الأديب فحسب أو إلى ما سمعه ، فكثير من الأدباء الغربيين لم تطأ أقدامهم بلاد الشرق التي صوروها وهذا ما ماسهم في تشويه الصورة التي رسمها الغرب عن الغير.

فملامسة الواقع شرط من شروط الصورة ،وإلا جاءت هذه الأخيرة مزيفة يكسوها رداء الظلم والجور .

وهنا نستعرض حقيقة المستشرقين وما أضمروه من دسائس مُبَيَّتَه قصد تحقيق مآربهم فرسموا صورة سلبية مشوهة من خلال الطعن في مقدسات الآخر ورميه بكل ما من شأنه أن يقلل من قيمته بل يشككه حتى في هويته ، إذ سعى هؤلاء إلى تمهيد الطريق واختصاره تحت شعار الإفادة بحضارتهم زعما لنشر الخير بين هذه الشعوب ، غير أن التاريخ فضحهم وسجل جرائمهم ووحشيتهم ،فكان استعمارهم للآخر استدمارا تتجلى يوما بعد يوم أثاره السلبية .

---

(1) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،ط1دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان،1985،ص137

الفصـــل الأول

الاستشراق ودوره في رسم صورة سلبية عن الشرق

المبحث الأول

الاستشراق .نشأته . تطوره. أهدافه

تمهيد:

إنّ العلاقة بين الأمم والشعوب علاقة تكامل وبناء، منذ خلق آدم إلى يومنا هذا ولكن صفة الأنانية والبحث عن فرض الوجود غريزة إنسانية، جعلت من الإنسان يكيد لأخيه ، للبحث عن ثغراتٍ تُزعزع استقراره وتهز كيانه، وهذه النعرات تتستر خلف إيديولوجيات مُعينة، فهذا ما حدث بين العرب والغرب.

فنظرة الغرب بُنيت على الكيد للعرب، وكان الهدف دينياً بحتا، لأنّ هذا الأخير (الغربي) ظلّ يعيش كابُوسًا مُرعبًا منذ فجر الدعوة الإسلامية لمّا رأى انتشار الرسالة المحمدية التي انطلقت من حيِّزٍ جغرافي صغير في صحراء الجزيرة العربية لتصل أصداؤها إلى الصين شرقًا، ومَشارف العاصمة الفرنسية غربًا.

هُـنَا صمَّمَ الغرب على الاتجاه نحو الشرق للبحث والتنقيب في ثقافته وتاريخه وأعدّ دراسات مفصّلة عن الشرق الإسلامي ولرُبّما نجد الشرقيين انفسهم يجهلونها.

وعليه نجد هذا التيّار الفكري صاغ تصورات عن الشرق عامّة، وعن العالم الاسلامي خاصّة، مُعبّراً من خلاله عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بين الصليبية والإسلام وأطلق عليه ما يُسمّى بالاستشراق، فماذا نعني بهذا المُصطلح؟ وكيف نَشأ؟ وما هي أهدافه؟ وما أصناف المُستشرقين وأعمالهم؟ وما موقفهم من العرب ولغتهم، وثقافتهم؟ وما علاقته بالاستعمار(الاستشراق رسالة الاستعمار).

المطلب الأول

تعريف الاستشراق بداياته ومراميه

تمهيد

1- الاستشراق لغة واصطلاحا

2- نشأة الاستشراق وتطوره

3- أهداف الاستشراق

1-***الاستشراق لغة و اصطلاحا*** :

أ - **الاستشراق لغة:** مصدر الفعل استشرق، وقد ذكر صاحب مُعجم متن اللّغة انّها (مُولدة عصرية)[1]، ولكن إذا نظرنا إلى هذا الفعل وجدنا أنّ بعض حُروفه مزيد، وبعضها أصلي، أمّا المَزيدُ: فهي همزة الوَصل ، والسين والتاء، ومعناها هنا الطلب أي طلب الشرق. مثل استغر طلب الغفران ،واستفهم طلب الفهم.

- جاء في المُعجم الوسيط: شَرُقت الشمسُ، شَرقًا، شُروقًا أي طَلَعَتْ[2] .أي جهة الشروق ،وشرّق أُخِذ من ناحية المشرق.

- وجاء في معجم تاج العروس: الشمس حين تشرق، ويقول: والشرق المشرقُ كما في الصّحَاح، وجمعه أشراق، قال كُثير عـــزّة:

إذا ضربوا يومًا بها الآل زيَّنوا مَسانيد أشراقٍ بها ومغاربِ

وقال أبو العبّاس:" الشرق الضوء الذي يَدْخُل من شقِّ الباب[3].

– وجاء في لسان العرب:شرقت الشمسُ شُروقًا وشَرقًا، طلعت، واسم الموضع المشرق.[4]

---

(1)-أحمد رضا: معجم متن اللغة، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت1959 ص 310.

(2)- ابراهيم مصطفى و آخرون: المعجم الوسيط ،ج1 ،مجمع اللغة العربية القاهرة ص482.

(3)- الزبيدي محمد مرتضى ابن محمد الحسين:تاج العروس ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ج،25 ص494/493.

(4)-ابن منظور:لسان العرب، بولاق مصر، ج8، ص65

من خلال هذه التعاريف اللغوية يُمكننا القول انّ كلمة استشراق جاءت بمعنى الإضاءة والفتح، وهذا باعتبار الشرق هو منبع العُلوم والمَعارف.

ب- **الاستشراق اصطلاحا:**

- عُرِّف الاستشراق بتعريفات عِدَّة، فتناوله أهل الاختصاص من حيث مواضع دراسته أو أسلوبه، أو مدى ارتباطه بالدين أو السياسة، فقد عرّفه حيث يقول ادوارد سعيد:" أنَّني أعني بالاستشراق عددًا من الأشياء، هي جميعًا في رأيي متبادلة الاعتماد...فكل من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه أو بحثه ...هو مستشرق، أو ما يقوم هو أو هي بفعله هو استشراق."[1]

ويقول أيضًا:" الاستشراقُ أسلوب من الفكر قائم على تمييز وُجُودي بين الشرق وفي مُعظم الأحيان الغرب.[2]، ويقول المستشرق الألماني "رودي بارت":"الاستشراق هو علم الشرق أو علم العَالَم الشرقي."[3]، ويقول مالك بن نبي في مقال له تحت عنوان"إنتاج المُستشرقين":" إنّنا نعني بالمُستشرقين الكُتّاب الغَربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية."[4]

---

(1)-ادوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة السلطة، الانشاء ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ،ط2، 1984 ص38.

(2)- المرجع نفسه.ص38

(3)- رودي بارت:الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية،ترجمة:مصطفى ماهر،دار الكتاب العربي،القاهرة،2011ص37.

(4)-مالك بن نبي، انتاج المستشرقين ،مجلة الفكر العربي العدد32ص130.

-الاستشراق هو حركة دراسة العلوم والأدب والحضارة والثقافة الإسلامية ، بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم ، وأسباب تفوقهم وقوتهم – لضرب هذه القوة من جهة، والاستفادة من علوم المسلمين من جهة ثانية ، والتمهيد للاستعمار النصراني لدول العالم الإسلامي وإخضاعها لنفوذه وسلطانه من جهة ثالثة ."[1]

الاستشراق اجمالا هو دراسة يقوم بها الغربيون لمعرفة أحوال وشؤون الشرق ، وخاصة مايتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وتقاليده وعاداته ، وبالأحرى هوممارسة معرفية لحضارة الشرق، ولكن بمنظور غربي وعليه يسمى الدارس الغربي لحضارة الشرق بالمستشرق ، والهدف من هذا هو الإحاطة بالعقلية والفكر والاتجاه ، ومعرفة أسباب القوة والضعف لأي أمة من الأمم الشرقية.

والاستشراق حسب د.ميجان الرويلي:"هو الاهتمام العلمي أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية أو الاسيوية تحديدًا، بما في ذلك الشَرقَيْن(الأقصى والأدنى) بما يتضمنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة.."[2] الاستشرق دراسة مدققة صبت اهتمامها العلمي على الثقافات الشرقية بما فيها الآسيوية وذلك من خلال أكاديميين غربيين درسوا وحققوا وترجموا كل ما يتعلق بتاريخ هذه الأمم.

---

(1)- السيد صالح سعد الدين:الأساليب الحديثة في مواجهة الاسلام،مكتبة التابعين القاهرة،ط1، 1998، ص85

(2)-ميجان الرويلي و سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب ط 3 ، 2002، ص33

2 - نشأة الاستشراق وتطوره: يرى الكثير من الدارسين أن نشأة الاستشراق تعود إلى عوامل مختلفة منها احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة ، ومن ثَمّ غزوة تبوك ومنهم من يرى أن بداية الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية ،ورأي آخر يرد بداياته إلى الحروب الدموية التي حدثت بين المسلمين والنصارى في بلاد الأندلس ،وخاصة بعد استيلاء ألفونسو السادس على مدينة طليطلة سنة 1085 م ، فتحركت طائفة من الرهبان برئاسة الراهب الفرنسي بطرس المحترم، وبعدها انطلقت الدير النصرانية الاسبانية إلى جانب قيام بطرس المحترم بترجمة القرآن الكريم ، بعد اطلاعه وتشبعه بالثقافة العربية الإسلامية، وذلك من أجل افراغه من محتواه ،ولاننسى انعقاد مجمع كليرمون سنة 1095م الذي أقر بوجوب محاربة المسلمين وفلسطين .

وقسم يرى أن الاستشراق بداياته كانت عندما رد الغرب على الإسلام وخاصة بعد سقوط القسنطينية سنة 1453 م ، ومنهم يعيد بداية ظهوره إلى حاجة الغرب إلى تفهم العقلية السامية، فاهتموا بدراسة اللغات العبرية والآرامية والعربية ، وكل آداب هذه اللغات من أجل معرفة الآخر معرفة حقيقية ، فهذه الجهود كلها تسعى للبحث عن مكامن الإصابة ومنافذ الولوج إلى قلب الأمة العربية الإسلامية قصد تفكيكها وإبعادها عن أهدافها ، وتشكيكها حتى في هويتها ...[1]

---

(1) - ينظر قاسم السمرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع،ط1 ، 1983 ص 19 إلى 24

وهذا ما يؤكده الدكتور مصطفى السباعي بقوله:"لا يُعرَف بالضبط من هو أوّل غَربي عُني بالدراسات الشرقية ، ولا في أيّ وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أنّ بعض الرُهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبّان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن ، والكتب العربية إلى لُغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصّة في الفلسفة والطب والرياضيات."[1]

ويقول الدكتور محمود حمدي زقزوق:" وهُنا نجد أيضًا أنّه ليس هناك إتفاق على فترة زمنية مُعيّنة لبداية الاستشراق، فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأنّ البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر ميلادي."[2]

ويقول "رودي بارت" " إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ، ولم يتردد في التبسيبط رغبةً في زيادة الوُضوح فإنّه يستطيع أن يقول إنّ بداية الدراسات العربية والاسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر."[3]

إن اهتمام الغرب بالثقافة العربية والإسلامية والإطلاع عليها سابق لأوانه فكل المحاولات التي قام بها هؤلاء من دراسة وترجمة توحي بمخطط خفي يحمل بين طياته الكثير من أجل الإيقاع بالأمة وهذا ماحصل بالفعل وجعلها فريسة بين أنياب عدو لايرحم .

---

(1)- مصطفى السباعي:الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ،دار العلم والمعرفة، القاهرة2018، ط1، ص16.

(2)-محمود حمدي زقزوق:الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف القاهرة 1998 ص20.

(3)- رودي بارت:الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية، ص14.

ويقول الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي:" و أرى من جانبي أنّ الاستشراق قد بدأ بداية حقيقية منتظمة بقرار المجمع الكَنسي في فيينا بالمُوافقة على تدريس اللغات الشرقية في خمسٍ من جامعات أوروبا الكبرى هي: باريس،أكسفورد،الجامعة البابوية،بولونيا،وسلمنكا سنة1312م، ثمّ توسعت أوربا في فتح أقسام جديدة..."[1]

ففي هذه المرحلة أدركت أوروبا الحقيقة المتمثلة في أهمية اللغة فركزت على تكوين النخبة انطلاقا من الجامعة التي تعتبر قناة لتعليم الأجيال ثقافة الآخرين والتعرف عليهم عن بعد ، تمهيدا للتبشير وبعدها الغزو .

ومن خلال الأقوال السابقة نستنتج أنها مجرد اجتهادات لتحديد وبداية النشاط الاستشراقي ، ولم يكن هناك اتفاق حول فترة زمنية معينة لنشأة الاستشراق، غير أنّ الواقع جعل من هذا المصطلح حقيقة ممارسة لا بُد من معرفة أهدافه والعمل على كشف دسائسه لمعرفة كيفية التصدّي له، والاستفادة منه للتعريف بأمتنا العربية الإسلامية، وذلك بِردِّ الشُبهات المنسوبة إلى ثقافتها ودينها ولغتها وتبيان الوجه الساطع الذي أنكره بعض مَن حملوا لواء هذا المُصطلح وتستروا وراء الموضوعية الزائفة لتشويه الآخر.

3- أهداف الاستشراق: إنّ أهداف الاستشراق كانت واضحة المَعالم والنتائج من خلال سير هؤلاء المستشرقين قصد الوصول إلى الطريق الصحيح ، وذلك لإنجاز ما طمحوا إليه وخططوا له، فكانت نهاية عملهم بدايةً لتحقيق الغاية المرجوة والمتمثلة في جملة من المساعي التي تبلورت عليها فكرة الاستشراق

---

[1]- محمد عبد الله الشرقاوي،الاستشراق في الفكر الاسلامي المعاصر، دار الفكر العربي،القاهرة، ط1، 1992 ،ص30

وعليه أجمع أهل الاختصاص أنّ أهداف الاستشراف كانت دينية بحتة قصد ضرب الاسلام وتتمثل فما يلي:

أ- هدف ديني: ويسعى إلى: التشكيك في كل مالهُ علاقة بالإسلام والمسلمين، فشككوا في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن الكريم. وكذلك جحودهم وإنكارهم أن يكون الاسلام دينا من عند الله، وإنّما هو اختلاف اليهودية والنصرانية، والتشكيك أيضا في الحديث النبوي الشريف، ونقل تواترا عبر الأجيال.

- التقليل من شأن اللغة العربية بعدم مُسايرتها للتطور العلمي والتكنولوجي.

ب- هدف سياسي: ويهدف إلى: تفكيك العلاقة بين المسلمين ، والعمل على تفرقتهم وتطبيق سياسة "فَــرِّق تسُــدْ"، وذلك بإحياء القوميات والقبلية التي كانت قبل الاسلام، واثارة الثغرات بين الشعوب، وكذلك تشكيك المسلمين في تراثهم، زعماً أنّ الحضارة الاسلامية منقولة عن الحضارة اليونانية.

ج- هدف علمي: إنّ الفترة المُظلمة التي عاشتها اوربا من تخلُّفٍ وجهل جعلتها تتجه نحو الشرق للإفادة من عُلومه، فقد أدركت أنّها لا تقوم لها قائمة ، إلاّ بدراسة الحضارة الإسلامية ومُنجزاتها، فنهلوا من عُلوم الشرق، واقتبسوا وتعلموا اللغة العربية وعُلوم الدين ، غير أنّهم حافظوا على عقائدهم واتجاهاتهم البغيضة للإسلام، وقليل منهم اعتنق الاسلام ، والقليل الآخر اعترف وأقرَّ بحقيقة ما يتعلق بالاسلام والمسلمين...[1]

---

(1)- ينظرمصطفى السباعي،الاستشراق والمستشرقون، ص22-28

المطلب الثاني

أصناف المستشرقين وعلاقة الاستشراق بالاستعمار

1- أصناف المستشرقين
2- علاقة الاستشراق بالاستعمار

1- أصناف المستشرقين

إنّ الدارس للاستشراق يجد أمامه فئات مختلفة باختلاف مواقفها اتجاه الاسلام والمسلمين، وقد قسّم الدكتور "محمود حمدي زقزوق" المُستشرقين إلى فئات مختلفة تتراوح حسب نظرتهم بين التعصّب والإنصاف إلى مايلي:

- فريق من طلاب الأساطير والغرائب.
- فريق من المرتزقة الذين جنّدوا دراساتهم في خدمة المصالح الغربية.
- فريق من المُتغطرسين الذين أخذتهم العزّة بالإثم وعمو عن النزاهة العلمية.
- فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي، ولكنّهم انحرفوا على جادة الصواب.
- فريق التزم في دراسته للاسلام الموضوعية والنزاهة، وأنصف الاسلام والمسلمين.
- فريق من المُستشرقين توفر على دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي والمعاجم ولهؤلاء بحوث مفيدة...[1]

وحسب ما جاء في مجلة الإنسان والمجتمع أنّ المستشرقين على ثلاثة أصناف وهم: - صنف مُحايد موضوعي مُقر.- صنف آخذ غير مُقر.- صنف مُشكِّك بشكل غير علمي وغير موضوعي.

- الصنف الأول: وهو الذي يتعامل بشكل مُحايد أي غير مُتعصّب ينتهج نهجًا علميًا

---

(1) - ينظر محمود حمدي زقزوق،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 78-79

موضوعياً، يُقرُّ بالأفضلية لحضارات الشرق وسماحة الإسلام، ومن هذا الصنف نجد: كارل فلهلم karl vilhelm ،سترستين،zetter steen .

- الصنف الثاني: وهو الذي يأخذ من أفكار وعلوم الحضارات الشرقية ما ينفعهم عاجلاً أم آجلاً، غير أنّهم لا يُقرّون أنّهم أخذوا من هذه الحضارات، وخير مثال على هذا نجد"تشومسكي"، وكيف أخذ نظرية العامل من النحو العربي وصَرفها إلى نفسه، ووظفها في اللسانيات ولم يُقر بهذا..

-الصنف الثالث: وهو الصنف المُشكِّك في العقيدة والدين بشكل غير علمي وغير موضوعي ومُتعصّب لضرب الاسلام والمسلمين، ومنهم المُستشرق اليهودي(برنارد لويس)، والأمريكي(مكسيم رودنسون)...[1]

2 - علاقة الاستشراق بالاستعمار:

ممّا سبق يُمكن القول أنّ الاستشراق كان بمثابة المنفذ والبوابة التي وَلِجَ منها الآخر(الغربي)، بعدما استفاضت دراسته حول الأنا (الشرقي) ليجعل من هذا الاخير السبيل الأوحد للقضاء على الأمّة الشرقية عامة ، وبالتالي اتضحت علاقة التوأمة بينه وبين الاستعمار، ممّا أدى إلى ظهور لون آخر من الاستشراق من خلاله استولى الغرب على مناطق شاسعة من العالم، وقد وصلوا إلى جَني ما زرعوا خلال عُهود طويلة ، فلم يُصبح نظريات تدرس، بل واقعًا ملموسًا.

---

(1) -عبد الحليم ريوقي ، ماهية الاستشراق، مجلة الإنسان والمجتمع:العدد2011/02،بدون دار النشر،جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان، ص84-87

وهنا انكشف الغطاء واتضحت النوايا، وزالت الشعارات البرّاقة التي حملها هؤلاء أو كما يقول الدكتور"محمد إبراهيم الفيّومي:" من هُنا كان الاستشراق أداة استعمارية ساهم بشكل جدّي في توسيع الصراع بين الغرب والشرق، وزَجَّ بالإسلام في حَلبة الصراع، الإسلام والمسيحية. " [1]، يتجلّى التمايز في النظرة الغربية والمُتمثلة في تفوق الجنس الأوربي على غيره. ويقول الكاتب والمفكر المغربي"بنسالم حميش" في كتابه"العرب والإسلام في مرايا الاستشراق":" إنّ الاستعمار الأمبريالي قد بات مُصرًّا على التقدّم من وراء أغطية ذرائعية تقوم جميعها على رُكن ركين:تفوق الجنس الاوربي على ما دونه من الأجناس الاخرى، وبالتالي حق الغرب في الهيمنة على الشعوب الجنوبية و الشرقية، من أجل تأدية رسالته التاريخية في تهذيب وتحضير العالَم المُتخلف."[2]

هذه النظرة الدونية التي تجسدت في الفكر الغربي من أجل طمس الآخر واخفاء الجانب المضيء في تاريخه ساهم في الهيمنة والتربع على الأرض والفكر معًا ، فكانت هيمنته على إفريقيا وآسيا هيمنة واسعة هدفها تحقيق المصلحة العامة لهذه الدول المسيطرة ، بفرض ثقافتها على العالم المستعمَر .

وقد تجسد ذلك من خلال الكتابة أيضًا، فظهر ما يُسمّى بالأدب الكولونيالي أو الاستعماري فهدف الغرب بعيد النظر، و مخطط له سالفًا، انطلاقًا من أعمال المُستشرقين التي سيطرت لمدة زمنية طويلة.

---

[1]-محمد إبراهيم الفيّومي:الاستشراق رسالة الاستعمار، دار الفكر العربي ، القاهرة،1993، ص149.

[2]- بنسالم حميش:العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دارالشروق،مصر،ط1،2011 ص46-47

فدرسوا عادات وأخلاق وعقيدة وثقافة هذه الدول ليتعرفوا إلى مواطن الضَعف فيها، فشجعوا القوميات وعملوا على إحياء بعض اللهجات المَحلية ليجعلوا منها لغة ، وهدفهم تشتيت وتفكيك أواصر الوحدة والتكامل بين الامّة العربية و الاسلامية، فكانت كتاباتهم في مجالات الأدب تتجلّى بإلصاق كل ما هو مَشين بالآخر(الشرقي) مثل التخلّف والجهل والعُبودية والقُصور، فالأدب الكولونيالي تشبع بالعنصرية ، فأصبحت مَضامينه تتقاطر بالسُّمِّ الناقع ، حيث يقول الدكتور "يحي مراد" في كتابه" ردود على شُبهات المُستشرقين:" كان الاستشراق لكلّ هذا وذاك ، وكان الاستعمار مُستهلكًا أمينا له ، تركزت فيه قوى التآمر الدولي، والهُجوم العالَمي على العالَم العربي والإسلامي."[1]

فالاستعمار هو اليد الخفية التي ضُربت بها دول الشرق، والمُستهدف هُنا هو اللغة، فقدِّمت اللغات الأجنبية على اللغة العربية، لأنّ اللغة هي الوجه الثاني للفكر. ومن يُتقن لغة أمّة لا مَحالة يُعجب بها، ويُصبح يُدافع عنها، وينتمي إليها، وهذا ما أقرّه الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مُرور مائة عام على احتلالها بقوله:" يجب أن نُزيل القرآن العربي من وُجودهم ...ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم، فهنا أصبح الشرق بعيدا عن لُغته ويكتب بغيرها، فهو إذن في نظر الآخر مغلوبٌ على أمره، ولا بُدّ له من الرضى بكلّ ما يُحاكُ له من تشويهٍ وقَلبٍ للحقائق، بل فوق هذا نجد من خضع واستسلم لهذه الأفكار وآمن بها. هم."[2]

---

(1)-يحي مراد:ردود على شبهات المستشرقين،فكر معاصر، 2005ص125.

(2)- العالم جلال: قادة الغرب يقولون:"دمّرُوا الإسلام أبيدواأهله"،بدون دار نشر،ط1، 2010ص50

المبحث الثاني

صورة الإفريقي والعربي في الأدب الكولونيالي

المطلب الأول

الأدب الكولونيالي .تعريفه . نشأته وتوسعه

تمهيد

1- تعريف مصطلح الكولونيالية
2- نشأة الكولونيالية وتوسعها
3- مفهوم الأدب الكولونيالي

تمهيد:

إنّ الاستعمار هو الوجه الحقيقي والهدف المنشود، الذي سعى إليه الغرب لتنفيذ مآربه على أرض الواقع، وذلك قصد السيطرة السياسية التي بدورها تتحكم في دواليب تسيير شتّى ميادين الحياة الاقتصادية والثقافية وغيرها.

هذه السياسة فُرضت على الدُول المُسْتَعمَرَة، وهي حملة شرسة تجلّت دوافعها في نظرتها للآخر، وهذا من خلال الكتابة التي كشفت الحقد الدَفين والهدف الدنيء، وهذا ما يُسمّى بالأدب الكولونيالي الذي أعطى صُورةً سلبية، الهدفُ منها عِرقي بحت ، شعاره أنّ الدولة الامبريالية تُروِّجُ بل تؤمن أنّ ثقافتها وحَضارتها أعلى شأنًا من الدول والشُعوب الأخرى وأنّها واجب عليها أن تَنْشُر وتُبشر بهذه القيم، وكأنّ الأدب الكولونيالي ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قِبله العذاب ، وهو أدب ليس بالبريء .

فقد صَوَّر الأيديولوجية التي لا تُؤمن سوى بالهيمنة والاستحواذ فهو فكر استعلائي يتُوق إلى إعطاء صُورة مشوهة للآخر، يجعل منه تابعًا مُنصاعًا لا رأي له مسلوب الحُرية والفكر، فهنا يتجلى لنا مدى تفطُن الغَربيين ما للأدب واللغة من أهمية في ترسيخ أفكارهم الواهية وذلك بإشباع رغباتهم الفكرية بآداب تحمل معاني السمّو والارتقاء الحياة والقوة واحساس المُستعمر بالتفوق زعمًا منه أنّه يحمل التمدُّن للشُعوب المُتخلفة .

والمُتأمل يرى أنّ الغرب جعل من الادب الكولونيالي سبيلا لفرض هيمنته وإزاحة ثقافة الآخر ، فهو يُدرك أنّ الأدب لأيّ أمّةٍ هو كالعصب من الجسم ، بل هو أدّقُ ما فيه فالأدب هو الابداع.

وهو كل ما أنتجه عقل الانسان وكان له الأثر البالغ في التفكير ، والأدب هو تُرجمان اللغة . وبناء على هذاعملت الكولونيالية على ترجمة آداب الأمم الأخرى إلى لغته وهذا قصد إيصال أفكارها المسمومة إلى هاته الشعوب.

لذا حاول الغرب أن يقسم العالم إلى مركز وهامش فالمركز هو القوة والعطاء والتحكم ، والهامش هو العالم الخارجي الذي تملى عليه قرارات المركز حيث يقول دوغلاس روبنسون :"وأكثر من ذلك أن الترجمة والتأويل يساعدان المستعمرين البريطانيين على إضفاء طابع مثالي على ما يمارسونه في الهند من العنف.."[1]

فنجد الأدب استغل لهيمنة الآخر ، وإذلاله وجعله في الهامش، فألبسوا هذا النوع من الفن بردة الاستعمار المباشر الذي اطلق عليه الأدب الكولونيالي ،فماذا يُعنى بهذا المُصطلح؟ وكيف نشأ؟ وما علاقة الكولونيالية به؟ وما هي أشكالها ؟ وما مدى نظرته للآخر (الافريقي والعربي)؟

---

(1)- دوغلاس روبنسون ، الترجمة والامبراطورية ،ت ثائر ديب ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، ط1 ،2005 ، ص122

1- تعريف مصطلح الكولونيالية:

إنّ الدارس والمتأمل في الأدب الذي ظهر في الكولونيالية يجده قد اتَّسَم بعدّة سمات جعلته يتميز عن غيره من الآداب في الفترات السابقة أو اللاحقة، وقد تجلّت ملامحه في الكشف عن أسرار ومضامين نص الخطاب الأدبي آنذاك، وذلك بتفكيك شَفراته وما يحمله هذا الخطاب من دلالات ورُمُوز تُزيح الغُمُوض والابهام عن النوايا الحقيقية من وراء هذا النوع من الأدب ، وعليه يُمكننا القول أنّ الكولونيالية حسب"آنيا لومبا"في كتابها"في نظرية الاستعمار، وما بعد الاستعمار الأدبية" فتقول:"فكلمة استعماري(كولونيالي) حسب قاموس"أكسفورد" للغةالانجليزية مشتقة من كلمة "كولونيا"(colonia) التي كانت تعني مزرعة أو مستعمرة، أو هومُستعمرة في بلد جديد....مجموعة من الناس يستقرّون في موقع جديد."[1].

وتقول أيضًا:" وهكذا يُمكن تعريف الاستعمار بأنّه غزو أراضي ومُمتلكات شعب آخر والسيطرة عليها."[2].

وهُنا يتضح أنه لايقتصر هذا الغزو على استعمار الاراضي وممتلكات الشعوب بل سَعى هؤلاء إلى فرض ثقافتهم وأفكارهم والسيطرة على فكرٍ الآخر، وتدمير كل ماله علاقة بوجوده.

---

(1)-آنيا لومبا:في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ت محمد عبد الغني غنوم،دارالحوار، سوريا،ط1، 2007 ،ص17

(2)- المرجع نفسه، ص18

وقد جاء في كتاب الرَّدُ بالكتابة لــ بيل أشكروفت وآخرين:

الكولونيالية/الاستعمار colonialism يُعبّر هذا المُصطلح في أبسط تعريف له عن فرض دولةٍ لحُكمِها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حُدودها على دولة أخرى وشعبها دون رضاه، مُعتمدةً في الأساس على الاحتلال العسكري لأراضي تلك الدولة، ويُمثّل مُصطلح الكولونيالية أهمية في تعريف خُصُوصية شكل الاستغلال الثقافي الذي تطور مع التوسُّع الاوروبي على مَدار القُرون الأربعة الماضية."[1].

فالكولونيالية هي السيطرة التامة لدول المركز على شتى مجالات الحياة لأنها تدرك أن الجانب السياسي والإقتصادي عصب حياة أي دولة من الدول.

وجاء فيه ايضاً "الكولونيالية الجديدة/الاستعمار الجديد"Neo-colonialism :" يُشير المصطلح إلى فرض السيطرة الأجنبية سياسيًا واقتصاديًا على دولة رغم حُصولها على الاستقلال والاعتراف بسيادتها ، ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على الأسلوب الكولونيالي الاستعماري التقليدي المُتمثل في الاحتلال العسكري."[2]

وممّا سبق ذكره في التعريف الأول يتبين أن الهدف الذي ركز عليه المستعمِر هو الجانب الثقافي .

---

(1)-بيل أشكروفت وآخرين/الرد بالكتابة :النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة،ت شهرت العالم ،بيروت،لبنان ،ط1 2006ص330

(2)- المرجع نفسه ص330-331.

وذلك بفرض ثقافته، وهذا من خلال التأسيس لسياسة المركز والهامش، فقد تبلورت أفكارهم في التسويق لكل ماهو غربي ونبذ أفكار وثقافة الآخر وجعله في الهامش وبالتالي لا معنى ولا قيمة له. وهذا ما حدث بالضبط في كثير من الدول الأسيوية والافريقية و غيرها من الدول التي شهدت حملة شرسة باسم التحضر والتمدُن.

والمُتفحص للتعريف الثاني والمُتعلق بالكولونيالية الجديدة يجد أن نظرة الغرب الى الدول المُستعمَرة تَغيّرت فأصبح الاعتماد على سياسة التحكم من بعيد، وذلك بعدم التدخل العسكري ، وإنمّا تفعيل الموروث الثقافي الذي خلفته في هذه البلدان، وهذا ما تمثل في التقليد الأعمى والذي تحدث عنه ابن خلدون بقوله المغلوب مُولَع بتقليد الغَالب ، وهذا ما جنته الدول الضعيفة والتي وجدت نفسها مُستعمرة ثقافياً.

2- نشأة الكولونيالية وتوسعها:

نشأ مصطلح الكولونيالية بتنامي الدول الغربية ، وظهور إيديولوجيا جعلت نظرة الغرب نحو الشرق تتغير حيث تقول خلود البدري في مقال لها :" نشأ المصطلح بالتوازي مع ازدهار الرأسمالية كقوة عملاقة صاعدة في العالم الغربي ، والغزو الأوروبي لآسيا وإفريقيا، ثم بلوغه المرحلة الأعلى مع القطب الأمريكي المتعاظم ،والمسماة بالإمبريالية."[1] ففي هذه المرحلة حدث اختلال في التوازن ، وانقسم العالم إلى قسمين فتكالبت الدول الكبرى على خيرات الآخر .

---

[1]- خلود البدري ، الكولونيالية ومابعد الكولونيالية ، صحيفة المثقف ، العدد 5117، 2020

وكان الاستعمار بوابة للهيمنة والسيطرة على دول وشعوب العالم الثالث وتحكمه في الاقتصاد والسياسة ، وما جاء في كتاب (في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية):"..بَيد انّ الاستعمار بهذا المعنى ليس مُجرد توسع عدد من القِوى الأوروبية إلى آسيا وإفريقيا والأمريكيتين منذ القرن السادس عشر وما بعده، بل لقد كان سِمةً واسعة الانتشار ومتكررة للتاريخ الانساني .

ففي أوّج ازدهارها في القرن الثاني الميلادي امتدت الامبراطورية الرومانية من أمريكا إلى المُحيط الأطلسي ، وبقيادة "جانكيز خان" في القرن الثالث عشر فَتح المغول الشرق الأوسط والصين، و أسست الامبراطورية الأزتكية ما بين القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر...أمّا الامبراطورية العثمانية التي بدأت كإمارة إسلامية ثانوية فيما يُعرف اليوم تركيا الغربية، فقد امتدت على مُعظم آسيا الصُغرى، ودول البلقان... وكانت الامبراطورية الصينية أضخم من أيّ شيء شهدته أوروبا، ولا يُمكن عَزل الاستعمار الاوروبي الحديث عن تلك التواريخ المبكرة من الالتماس ، فالحروب الصليبية، أوالغزو الاسلامي لإسبانيا....."[1] مما سبق يبدو أن الكولونيالية متجذرة في الماضي فقد استمدت الدول الغربية هذا الامتداد ،من خلال إحياء تراثها ومجدها حسب آنيا لومبا.

فالكولونيالية القديمة او الاستعمار القديم ، يختلف في آلياته مع الاستعمار الجديد لكن مَضامينه واحدة، والمُتمثلة في التأسيس للهيمنة الثقافية التي يُحقق بدورها الهيمنة السياسية، وهذا ماحدث في الاستعمار الأوروبي لبعض الدول كدول إفريقيا .

---

[1]-آنيا لومبا:في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية ، ص18-19.

ولحدّ الساعة نجد أنّ الدول الكُبرى مُسيطرة بشكل واسع على الجانب الثقافي والنفسي والمعرفي والاقتصادي للدول التي عاشت تحت هَيمنتها،أمّا فيما يَخص التوسع الكولونيالي فنجد بيل أشكروفت يقول:"لعلّ الكولونيالية حيث تتكون من هجرة جُزء من أمّةٍ لأرضٍ أجنبيّة خالية او قليلة السُكنى بالنّاس ومُهاجرين يَحملون معهم كافة حُقوق المُواطنة في بلدهم الأم ،...تُعدُّ تَوسعًا حقيقيًا للقومية." [1]

فالتوسُّع هنا ناتجٌ عن القفزة النوعية التي شهدتها الدُول الامبريالية في تقسيم المُستعمرات ولكن التوسّع المقصود والحقيقي هو السيطرة على شتّى مجالات الحياة من ثقافية وسياسية واقتصادية قصد تزويد وامداد حركة التطورفي مُجتمعاتها من مَزارع ومَصانع وكل ما من شانه أن يُوفر الرفاهية لشعوبها، عن طريق السَلب والنَهب والتقتيل والتشريد،وفرض إديولوجية امبريالية للسيطرة على اكبر قَدر من الأقاليم باستخدام القُوة ممّا يسمح بالمُزاوجة بين الامبريالية والكولونيالية، أي بين القوة والتوسّع او استعمال القوة للتوسّع ، حيث يقول بيل أشكروفت:" ويظهر نطاق وتنوع المُستوطنات الكولونيالية المُتولدة عن توسع المُجتمع الأوروبي بعد عصر النهضة الاوروبية بسبب اعتبار مصطلح الكولونيالية شكلا متميزًا للاديولوجيا الامبريالية الأعم، وعلى الرغم من أنّ الصيغة التي طرحها "سعيد" حيث يُخصص الامبريالية للقوة الاديولوجية ، بينما الكولونيالية للمُمارسة...فقد أصبحت الكولونيالية الاوروبية في عالم ما بعد النهضة الأوروبية صيغة للتوسّع الامبريالي..."[2]

---

(1)- بيل أشكروفت:دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ص241

(2)- المرجع نفسه ، ص 106

وعليه يُمكن القول أنّ التوسع الكولونيالي لا يحصل إلا إذا كان مصحوبًا بالتوسع الفكري ، فالغزو الفكري كان محور العملية التي بني عليها الاستعمار الغربي بداية من طمس الثقافة المحلية وفرض الثقافة الدخيلة، وجعل هذا الجانب منفذا للسيطرة الكلية على فكر الآخر، لذا نتساءل ما علاقة الأدب بالكولونيالية أو الاستعمار؟

مفهوم الأدب الكولونيالي:

يعتبر الأدب الكولونيالي من الخطاب الذي واجه به المستَعمِر المستَعمَر ، وفن الخطاب مجوعة شاملة لمواضيع تحمل بين طياتها رسالة مضمونها سيطرة الدول القوية على الضعيفة.

وهو حسب مديحة عتيق الأدب الكولونيالي :" هو مجموع النصوص الأدبية التي كتبتها الطبقة المثقفة إبّان مرحلتها الاستعمارية ،وغزوها كل ما يقبع خارج حدودها الإقليمية ، وتتمثل تلك النصوص الأدبية في أدب الرحلات والمذكرات واليوميات ، والرواية..."[1]

ويشكل الأدب بالنسبة للدول الكبرى أساس قوتها ، به تصنع مكانتها بين الشعوب لأن الخطاب دليل الوجود والتمركز ، فاستعمل الاستعمار هذا الأخير لإيصال أفكاره وإيديولوجيته ، لأنه من صنع المجتمع والمعبر عنه ، فالخطاب واقع أي أمة من الأمم وعليه أدرك الغرب الحقيقة والدور الذي يشكله الأدب .

---

(1) - **مديحة عتيق ، فصول في الأدب المقارن ، دار ميم للنشر ،ط1 ،الجزائر ، 2014 ، ص119**

تقول آنيا لومبا:" الخطاب الاستعماري ليس مجرد مصطلح وهمي للاستعمار إنه بالأحرى يدل على طريقة جديدة في التفكير تشترك فيه عمليات ثقافية وفكرية واقتصادية وسياسية معا ... هذه الطريقة الجديدة تهدف إلى توسيع مجال الدراسات الاستعمارية عن طريق فحص تقاطع الأفكاروالمؤسسات والمعرفة والسلطة ."[1] انتهج الاستعمار طريقة جديدة أعطى من خلالها للخطاب دوره ، ومنه الأدب لأن فرض الهيمنة تكون بفرض ثقافة الغالب على المغلوب ، ليصبح تابعا وخاضعا له ، والخطاب يشمل كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية كما اعتمد على اللغة والأدب لتحقيق أهدافه.

والأدب لايقتصر على التواصل فقط والتتعبير عن الذات والافصاح عنها ، بل يتسع لأكثر من ذلك ، وهذا ما أفصحت عنه آنيا لومبا بقولها:" إن النصوص الأدبية تنتشر في المجتمع ليس بسبب ميزتها الداخلية فحسب ، بل لأنها تشكل جزءا من مؤسسات أخرى كالسوق أو النظام التربوي ، ومن خلال هذه المؤسسات تلعب هذه النصوص دورا هاما في بناء سلطة ثقافية للمستعمرين ، في كل من العاصمة والمستعمرات ، بيد أن النصوص الأدبية لاتعكس ببساطة الأيديولوجية المهيمنة ، لكنها تحول التوترات والتعقيدات والفروق الدقيقة داخل الثقافات الاستعمارية إلى رموز، الأدب هو منطقة تماس."[2]

يكمن دور الأدب عند المستعمر في المركزية الثقافية ، فهو قناة من خلالها يبث أفكاره فالأدب الكولونيالي يضمر حقيقة مايريده لغيره ،فهو يعمل على تحويل الثقافة إلى رموز لتجسيدها على أرض الواقع وبالتالي هو نقطة تلاقي واتنشار وتلاقح للأفكار.

---

(1)- آنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص 64

(2)-المرجع نفسه ص79

كما نجد سامي كرمة تقف عند حقيقة الأدب الكولونيالي بقولها:"... أن الخطاب الكولونيالي هو إدراك منظومة من المقولات داخل حدودها ، وهذه المنظومة تكون لصالح الفئة ،أو السلطة المهيمنة في المجتمع وهذا من خلال فرض معارف وحقول معرفية ، وقيم معينة على الفئة الخاضعة لسيادتها. " [1]

إن المستعمر أخضع الخطاب ومنه الأدب لفرض ثقافته وذلك من خلال سيطرته وهيمنته على الفئة التي تحت سيادته ،وفي هذا الصدد تقول كرمة سامي :"إن الخطاب الكولونيالي هو متضمن بدرجة كبيرة في أفكار مركزيةِ القارة الأوروبية. "[2]

أي أن الخطاب الكولونيالي يعمل على فرض المركزية الأوروبية ،ومن ثمة تهميش الآخر،وإبعاده من حلقة الإبداع والخلق ،والسعي إلى إعدامه فكريا ، فيصبح شخصا متلقيا لثقافة الغرب لا غير ،ومن هذا كله نستطيع القول أن الأدب الكولونيالي هو أدب الإستعمار القائم على العرقية والعنصرية ،وتصوير الآخر بصور العجز والقصور والتخلف.

إذن هذه هي تلك الأفكار التي صنعتها وفرضتها الثقافة الغربية على جميع المستويات والتي ساهمت في خلق فجوة بين المهيمن والمهيمن عليه ،ورسمت صورة للأول على أنه الأفضل ،وأن الآخر ما هو إلا خادم ومنفذ لأوامر هذا السيد الذي كان هدفه ولا يزال فرض هيمنته الفكرية ،والسياسية ،والاقتصادية لخدمة أغراضه

---

[1]- كرمة سامي، دراسات ما بعد الكولونيالية ، المفاهيم الرئيسية ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 ،ص101

[1]-المرجع نفسه ص102.

المطلب الثاني
علاقة الكولونيالية بالأدب ونظرتها للآخر

1- علاقة الأدب بالكولونيالية

2- صورة الآخر(الإفريقي والعربي) في الأدب الكولونيالي

1- علاقة الأدب بالكولونيالية

إنّ علاقة الكولونيالية بالأدب علاقة وطيدة ، فقد كان الاستعمار ولايزال ينظر إلى الأمم الأخرى بخلفية ثقافية ، حيث تمكن هذا الاخير من دراسة البُنى الثقافية للآخر، لأن آداب أيّ أمّة هي الصُورة الناصعة لها والمرآة العاكسة لأخلاقها وعاداتها وثقافتها، ولكن سُرعان ما ظهر ما يُسمّى بالاستشراق الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، هُنا تغيّرت نظرة الغرب ووظِّف الادب كوسيلة لتمثيل الآخر، واستعماله كسلاح لضرب هَويته وزعزعة كيانه، تقول روضة ماجد عمايرة:"استند المُستعمر على المعرفة في بسط سيطرته ، وتمكين الهيمنة على الشُعوب المُستعمَرة، نظراً لازدواجية الدور الذي تُؤديه سواء في التمهيد أو في تثبيت دعائم الاستعمار، حيث قام المستعمرون في بادئ الامر باكتشاف الشعوب الأخرى والاطلاع على ثقافتهم و تاريخهم، ولُغتهم،وسبل عيشهم....من خلال انتاج معارف ثروّج لتمايز يقوم على هذه الفُروقات بين المُستعمِر والمُستعمَر(الأنا والآخر)..." [1]

والنتيجة أنّ الكولونيالية انطلقت من الادب لكونه ترجمان الحالة الثقافية للشعوب، فالأدب الكولونيالي هو الذي جعل الآخر يهيم على وجهه للبحث عن ذاته لإثبات هَويته، فهذا الأدب له ابعاد ثقافية وفكرية وسياسية واقتصادية، وفي هذه الفترة اتسمت الكتابات بالعناوين البَراقة قصد اغواء القارئ وانجذابه نحو المَضامين، لعلّ وعَسى ان يكون لها الأثر في نفسيته ليزداد هُيامًا بها، وابتعادًا عن هَويته وثقافته.

---

[1]- روضة ماجد عمايرة،رسالة ماجيستراالديمقراطية وحقوق الانسان،الأديب كقوة دافعة للتغير،جامعة بيرزيت فلسطين 2017 ص43.

وفي مُجملها جاءت كتابات تحض على التمييز والتفوق العرقي لدعم الاستعمار و التسويغْ له، والتقليل من شأن الآخر ووصفه بالمُتخلف والهمجي.

وهذا ما يُؤكده قول طلعت عبد العزيز أبو العَزم:" إن الأدب المكتوب على كلا الجانبين من الخط الاستعماري غالبًا ما يستوعب ويمتص ويُلائم ويصف مظاهر ثقافة الآخر(the other cultur) ويخلق أجناسًا جديدة، وأفكاراً وهويات في هذه العملية، بل إنّ الأدب –أخيرا- يعتبر أيضا وسيلة متلائمة لتداخل الوسائل المُسيطرة المُتحدية لتمثيل الاديولوجيات المستعمِرة. "[1]

ومن هنا يتبين لنا أنّ الأدب الكولونيالي أدبٌ نابع من نظرة استعلائية استعمارية حيث رسم صُورة سلبية للآخر من خلالها راح يفرض ثقافته ويعمل من اجل أن تذوب ثقافة الآخر فيها، وعليه يُمكننا التعرف على الصورة التي روَّج لها هذا الأدب ، جاعلاً من الأدب وسيلة للتأثير على الذوات المُتلقية ، إذن ماهي صورة الآخر في الأدب الكولونيالي؟ وماذا يعني هذا النوع من الأدب بالآخر.؟

2- صورة الآخر (الإفريقي والعربي) في الأدب الكولونيالي

يُعتبر الآخر ركيزة وركنًا أساسيًا في العمل الأدبي لهذا الادب فهو محوره والمفتاح الذي يتم به الوُلُوج إلى معرفة مخيلة الأنا المُتحدثة، والآخر أيضًا هو الذي يختلف عن الأنا في العادات والتقاليد وحتى في الأيديولوجية.

---

[1]-طلعت عبد العزيز أبو العزم،أدب ما بعد الاستعمار ونظريته النقدية،عين للدراسات والبحوث الاجتماعية 2018 ص43.

ومادام أنّ الأنا يُوحي بالوجود والسيطرة وفرض الذات والاستعلاء والنرجسية، فجاءت كلمة الآخر لتكشف أنّ المُتحدث عنه مجهولُ وغير معروف، فهو بلا هَوية ولا تاريخ، ونعني بالآخر هو المُنفصل جسديًا عن الأنا والمُحدد لها وُجوديًا، وهذا ما يُؤكده قول"سارتر"في كتابه الوجودية مذهبٌ إنساني حسب الأستاذ عبد العزيز ضويو:" وأنا لو شئت أن أعرف شيئًا عن نفسي ، فلن أستطيع ذلك إلا عن طريق الآخر ، لأنّ الآخر ليس فقط شرطًا للوجود، بل هو كذلك شرطٌ للمعرفة التي أكوّنها عن ذاتي."[1]

ويقول الأستاذ ضويو عبد العزيز أيضا :"أمّا حين تَضيق دائرة مفهوم الآخر فتنحصر في المُختلف حضاريًا بأسسه اللغوية والتاريخية والعقائدية...وهنا يذهب التفكير في الآخر خارج الحُدود الجُغرافية ،الذي تستوجب هذه الأسس ويكون هو المُفارق للذات، والذي يُشعرها دومًا بهذا الاختلاف."[2]

من هذا المنظور انطلقت النظرة الغربية ، وأصبح هذا الأدب "الآخر" هو شُغلَه الشاغل ليرسم لنفسه احساسًا بالفوقية ، ويركب غروره من افعال وأقوال ميدانية ترجمتها سلوكيات الامبريالية الاستعمارية التي ضربت عرض الحائط الزعمات والشعارات التي حملها هؤلاء من تطوير وتحضير وتهذيب للآخر، ولنأخذ على سبيل المثال المُمارسات الكولونيالية في تعاملها مع الأفارقة والعرب، وكيف صوّرت هذا الآخر (الافريقي والعربي) في كتاباتها.

---

(1)- عبد العزيز ضويو، الكتابة بلغة الأخر صيرورة تجاذب وتفاعل ، مجلة جيل ،الدراسات الادبية والفكرية ،العام السابع ،العدد59 ،2020، ص49.

(2)- المرجع نفسه ص50.

ونجد جوزيف كونراد من الذين كتبوا برؤية استعمارية تتجلّى في النزعة الذاتية والاستغراق في عالم الوَهم من اجل الشُعور بالرضى عن النّفس، فقد جاء في مقالٍ للكاتب الجزائري "عمر أزراج"، حيث بيّن انّ الأدب الكولونيالي لمّا يخضع للتحليل النفسي يكشف عن ما تضمِرُه النفس الاستعمارية والخلفيات التي انطلقت منها.

فيقول: " عثرت على دراسة مُهمة كتبها ناقدٌ صيني وهو الدكتور بان كاه تحت عنوان (موضوع الاستعمار المفقود)، التي يقدّم فيها مُقاربة نفسية لنصوص أدبية استعمارية."[1]

حيث يقول النقاقد الصيني بان كاه حسب أزراج:" إنّ التحليل النفسي يرى نوعًا ما ، وعلى نحو مُلائم الموضوع على أنّه ليس مُجرد صوت تعبيري ذي امتياز، وإنما يراه على انّه اللاوعي ."[2]

ومن هنا نُدرك المخزون التعبيري المُفعم بالحقد والأنانية الذي كُرِّسَ لتحقير الشعوب المُستضعفة، وكذلك هذه النظرة أبرزت عقد المستعمر مع المُجتمعات، لأنه لم يحمل الرسالة المزعومة بقدر ما دمّر ما وجده في هذه البلدان فهو حطَّم المعنويات قبل الماديات، وأيضًا ما استوقف الكاتب عمر أزراج هو ما اقتطفه الناقد الصيني بان كاه من رواية جوزيف كونراد قلب الظلام.

---

[1]- عمر أزراج، التحليل النفسي كآلية لمقاربة الأدب الكولونيالي، صحيفة العرب السنة42 العدد:11405، 2019 .

[2]-المرجع نفسه.

وينقل أزراج أيضا عن كونراد قوله:"إ نّ الشيء الوحيد والأول الذي اكتشفته هو أنّ اتجاه وجهتي كان ثمّة وجه أسود ومغلق العينين إنّه الرأس الذي بدا دائمًا على قمّة الصُعود، وهو ذو شفاه مُنكمشة تظهر خطًا أبيضًا ضيقًا لأسنانه، كان يبتسم أيضًا."[1]

يكشف هذا النّص الصغير عن صورة نمطية للإنسان الأسود كما هي مرسومة في لاوعي كونراد ، والنّص كما يقول الأديب الجزائري أزراج:" فإنّ هذا النّص لا يكتفي بتصوير الجانب الفزيولوجي من شخصية الإفريقي فقط، وإنمّا نجده يتضمن على نحو موارب سخرية....وهو اقناع القارئ بعجز هذا الانسان الإفريقي وانحطاطه وتخلّفه."[2]، ففي هذه الرواية تبدو افريقيا غابة بدائية ينجذب إليها كونراد.

ويقول يوسف ضمرة:" كانت رواية جوزيف كونراد قلب الظلام واحدة من الشواهد على وحشية العقل الغربي وجبروته، رغم مُسميات الانتداب والتشدق بالعمل على مُساعدة السكان الأصليين في نقلهم من عصر مُظلم إلى عصر التطوير والانفتاح."[3]

ومن خلال عنوان هذا المقال ظلام جوزيف كونراد الدائم نستنتج الجروح العميقة والظلام الدامس الذي لاحَق ومازال يُلاحق وسيظل في المستقبل إن لم يتحرر هذا الشعب من الأفكار الشريرة التي فرضها العقل الغربي.

---

(1)- المرجع السبق .

(2)- المرجع السابق.

(3)- يوسف ضمرة، ظلام جوزيف كونراد الدائم ، صحيفة الرأي، 2012 .

وجاء في كتاب الرد بالكتابة :" ..إلى أنّ عملية التمزُّق التي احدثتها الامبريالية لم تكن اكثر عُنفًا فحسب، وإنمّا كانت أيضًا أكثر تمزيقًا وتقسيمًا على نحوٍ واعٍ ذاتيًا، لقد قامت اللغة الانجليزية بدور تاريخي فاسد في منطقه الكاريبي فقد كان يجري عمداً فصل العبيد عن الأعضاء الآخرين في مجموعة لغتهم، مع إجبارهم على استخدام لُغة مالكي المستَعمَرة.."[1]

فكلّ الدراسات تُقرُّ بحقيقة الجرائم التي ارتكبها الغرب في حق الشُعوب التي استعمرها، إنّ التاريخ لم يرحمهم أبدًا فقد دوَّن صَنائعهم التي أنبأت عن سريرة خبيثة هدفها النهب والاستغلال، وما صوّره الكاتب والمؤلف دانيال ديفو في روايته روبنسون كروزو عن الآخر لمّا لاحت به الأقدار في هذه الجزيرة طغت عليه النزعة المادية المحتدمة بالنزعة التملكية الاستعمارية، والتي ينتج عنها إلغاء الآخر و استعباده.

وممّا جاء في روايته :"إنّ كل هذا مِلك لي، وإنني مَلك على كلّ هذه البلاد بشكل غير قابل للإلغاء، وإنّي أتمتع بحق الملكية."[2]

فمن كلامه هذا تتجلّى الهيمنة والنظرة الضيّقة المصحوبة بالمنفعة، فالفكر الاستعماري الكولونيالي ضاربٌ لأطنابه على الذات الغربية ، فصورة الآخر وكيفية التعامل معها إنما هي ثقافة وموروث اجتماعي وليست نتاجًا فرديًا وهذا ما يطفو على نفسية الفرد هناك.

---

(1)- بيل أشكروفت وآخرين،الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة،ت شهرت العالم ،ط1،بيروت،لبنان 2006 ،ص54.

(2)- روبنسن كروزو، دانيال ديفو، ت أسامة أسير ، وزارة الثقافة دمشق ، 2007 ص156.

فحقيقة الاستعمار تتمثل في الوجه القاتم الكالح الذي يملأه الظلم والقهر، وماحدث في البلدان العربية لخير دليل على ذلك، فمجازر فرنسا بالجزائر لا تُنسى ، فأحداث الثامن ماي 1945 جريمةٌ وعارٌ يُلاحق فرنسا، في كل حين و آن، وما حدث في مصر وتونس وليبيا والمغرب لشاهد على هذه الدول المتغرطسة وما فعلته بشعب أعزل من إقصاء وتهميش وتنكيل ، وقد مسّ هذا الأخير كل فئات المجتمع كبيرا وصغيرا رجلا وامرأة، دون تمييز.

فنظرة الغرب كانت متوازية لا تفرق بين العربي والإفريقي، فالكتابة في هذه الحقبة استجابت لرغبات المجتمع البرجوازي الغربي ، الذي يبدو له أنّه الأنموذج للعالم المتقدمّ، وأنّه حامل الخير والبشائر السارة إلى عالم آخر يبدو له عالم الشر، عالم الوحوش السوداء،عالم البدائيين، ونجد ايضًا في هذا السياق ما يروى عن الأديب "غي دي موباسان" guy de mau passant، الذي زار الجزائر عدة مرات ، فهو يقول في وصف العربي:" فوق تلة التراب كان هناك شخص ذو جلد أسود، وأقدام عارية مضطربة وبدون لحم...يتأمل بصعوبة الدابة الحديدية(ويقصد السيارة) وهي تسير أمامه."[1]

ويقول أيضا في وصف الشيخ بوعمامة:" لئيم من يستطيع القول مَن كان بوعمامة هذا الكذاب الذي لا يُمكن القاء القبض عليه."[2]

---

(1)- محمد بوعلي ، تمثلات الآخر العربي والإفريقي في الأدب الفرنسي ،مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العام الثالث ، 2016، ص13.

(2)-المرجع نفسه، ص13.

ويقول في وصف العربي مرة أخرى:" من يقول عربي يقول لص دون استثناء."[1] فالأدب الكولونيالي أدب مُعشش بالألفاظ الدونية التي لا تُعبّر إلا على أفكار من كتبوه ، وهذه التصرفات تنبئ عن بطلان حجتهم وسفاهة عقولهم.

هذا فيضٌ من غيض عن صورة الآخر (الإفريقي والعربي) في الأدب الكولونيالي الذي مازال يمارس حماقاته على هذه الشعوب سواء بطريقة مباشرة مثل ما يحدث في فلسطين والعراق وسوريا وغيرها من البلدان الأخرى أو بطريقة غير مباشرة وتحت شعارات العولمة وما يصاحبها من تهديد وتخويف واستغلال لخيرات هذه البلاد.

---

[1]-المرجع السابق ص 14.

المبحث الثالث

الدراسات مابعد الكولونيالية ودورها في كشف الأنساق المضمرة في الأدب الكولونيالي

المطلب الأول

أدب مابعد الكولونيالية وتفكيكه للموروث الاستعماري

تمهيد

1- تعريف مصطلح مابعد الكولونيالية
2- الأسس المعرفية والفكرية التي قام عليها
3- أهم رواد نظرية مابعد الكولونيالية

تمهيد :

انطلاقًا من المبحث السابق المتمثل في الأدب الكولونيالي وموقفه من الآخر وأثاره على البلدان المستعمَرة التي كانت تحت وطأة الدول الكبرى والآثار الناجمة عنه من ظلم وقهر وعنصرية ومدى سيطرتها على شتّى مجالات الحياة (الثقافية، السياسية الاقتصادية...الخ) ، وتجاهلها لكل ما يَمِّت بصلة إلى الآخر، ونفث سُمومها لتجعل حضورها دائما حتى بعد غيابها أو رحيلها ، ولكن انطلاقا من مقولة تكلّم لأراك التي تنسب للفيلسوف سقراط أو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرجال صناديق مغلقة مفاتيحها الكلام.

من خلال المقولتين تنكشف لنا حيوية اللغة وفعاليتها في الوجود الإنساني وذلك لتعيين هويتها، واثبات حضورها، وفي غالب الأحيان الصمت عنوان للضعف، وعدم القدرة على اثبات الوجود، أمّا انتزاع القدرة على الكلام الذي هو خاصية من خصائص القوي المهيمن، الذي يتفرد بإصدار القرار والسيطرة،والظلم والاستبداد والذي يجعل من الضعيف مطيّة لقضاء حوائجه زعما أنّ من وكّله هو هذا الضعيف او الصامت وبالتالي يُصوّر بمثابة الغائب أو الشبح، غير أنّ ظواهر الوعي تجلّت في الأفق فأثبت هذا المُهمش نفسه ضاربا عرض الحائط كل الأفكار التي تُروّج أنّه قد ذاب واضمحلّ في الحضارة الغربية.

فكانت الكتابة عنوانًا لوجوده واستمراره من جديد، مخاطبًا الاستعمار أنّه قد نفخ في رمادٍ أو صاح في وادٍ مُدركًا انّ زمن الاقصاء قد ولّى والحضور الفكري هو البديل مع التشبث بالثقافة المحليّة والهوية الوطنية.

فمن هنا ظهر أدبٌ جديد وبأسلوب مخالف عن الآداب السابقة من حيث الفكرة والمضمون عنوانه أنا موجود،لا إقصاءٌ،لا عنصرية ، وتحت مُسمّى جديد هو أدب ما بعد الكولونيالية post colonialism فماذا نعني بهذا الأدب؟ وماهي أسسه وكيف استطاع أن يُفكّك الموروث الاستعماري القديم ؟ وما نظرته إلى الآخر.؟ و أهم رواده.؟

1- تعريف مصطلح مابعد الكولونيالية

تعد نظرية مابعد الكولونيالية ، أومابعد الاستعمار،من أهم النظريات النقدية التي تناولت مجموعة من القضايا الشائكة التي خلّفها الاستعمار مثل سياسة التمركز والصراع الفكري والثقافي ، وجدلية الأنا والآخر، فراحت هذه النظرية تُقوِّض وتفكك شفرات هذا الخطاب من أجل فضح الأيديولوجية الغربية التي هيمنت على الفكر العالمي.

لأن هدفها العمل على دراسة وتحليل ثقافة الآخر، الذي مكّن لنفسه ليكون سيدا على الدول الضعيفة يقول جميل حمداوي :" نظرية مابعد الاستعمار هي التي تهدف إلى تحليل كل ما أنتجته الثقافة الغربية باعتبارها خطابا مقصديا ، يحمل في طياته توجهات استعمارية إزاء الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية ، كما يوحي المصطلح بوجود استعمار جديد يخالف الاستعمار القديم."[1]

أي أن هذه النظرية تسعى لكشف الاستعمار، والتصدي لثقافته المقصودة والموجهة للعالم الثالث ، والتي تعتبرا استعمارا جديدا يخالف السياسة الاستعمارية القديمة .

ومابعد الكولونالية هي تتمة للكولونيالية غير أنها بطريقة تختلف عن الأولى حيث تفطن المستعمِر إلى طريقة جديدة تتجلى في احتلال العقول والتحكم في مستعمراته من بعيد .

---

[1]- جميل حمداوي ،نظرية ما بعد الاستعمار، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت ، العدد 12 ، 2018 ، ص59

حيث جاء في كتاب دليل الناقد الأدبي حول الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية :"يُشير هذان المصطلحان اللذان يكملان بعضهما بعضًا إلى حقل من التحليل ليس جديدًا بحدّ ذاته، ولكن معالمه النظرية والمنهجية لم تتضح في الغرب إلاّ مؤخرًا....يُشير المصطلح الأول إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية ...أمّا المصطلح الثاني "النظرية ما بعد الاستعمارية" فيشير إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أنّ الاستعمار التقليدي قد انتهى، وأنّ مرحلة من الهيمنة تسمى أحيانًا المرحلة الامبريالية أو الكولونيالية - كما عربها بعضهم - قد جلت وخلقت ظروفًا مختلفة تستدعي تحليلًا من نوع معين ، ولذا فإنّ المُصطلحين ينطلقان من وجهة متعارضة، فيما يتصل بقراءة التاريخ....فبينما يرى بعضهم انتهاء مرحلة الاستعمار التقليدي ،وبالتالي انتهاء الخطاب المتصل به، وضرورة أن يتركز البحث في ملامح المرحلة التالية: وهي مرحلة ما بعد الاستعمار.. "[1]

من خلال قراءتنا لهذا التعريف تتبين لنا العلاقة بين مصطلحي الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، لأنّ المصطلح الأول الذي بلور وصنع المصطلح الثاني لأنّه ثقافة جاءت نتاجًا لما سَبِقَهَا ، غير أنّ الاختلاف هو زوال فكرة الهيمنة المباشرة وأنّ الاستعمار القديم قد اندثر وظهر خطاب جديد يتماشى والمرحلة الجديدة الواقعية التي تعيشها الشعوب والمتمثلة في التحرر من قبضة الآخر والكتابة بطريقة تتلاءم وطبيعة التفكير السائد في هذه المرحلة والذي يتطلع إلى واقع تتمثله الحرية والانطلاق من قيود الماضي ،لأنّ هذا التعريف انطلق من فرضية أنّ الاستعمار القديم قد انتهى.

---

[1]-ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، ص92.

وجاء في كتاب "العين الثالثة :"...لكن ورغم هذا الاستعمال الواسع لهذا المصطلح، إلاّ أنّه يبقى من الصعوبة بمكان القبض على الدلالة الكاملة والتامّة لما بعد الكولونيالية/مابعد الاستعمار، وأول هذه الصعوبات في تحديد معنى المصطلح في السابقة (مابعد) التي...تعقّد الأمور لأنّها تفترض نتيجة بمعنيين زمني كالقدوم فيما بعد وأديولوجي كحلول شخص محل الآخر، كالاستئصال، أي مرحلة الاستقلال والقضاء على الاستعمار وفكفكته، وحلول المُسْتَعْمَر محلّ المُستعمِر، وهي التي تلي مباشرة مرحلة الاستعمار."[1]

إنّ مصطلح ما بعد الاستعمار أو ما بعد الكولونيالية يبدو عليه نوع من التعقيد حسب التعريف هل هو استئصال للماضي أمْ هو بناء هذه البَعْدِية على هذا الماضي وبالتالي ما بعد الكولونيالية جاءت من أجل أن تعطي بُعدًا آخرا والمتمثل في إثبات الوجود والرد بالطرق التي يفهمها هذا المستعمر وخاصّة الكتابة، والتي من خلالها اتضّح أنّ هذا الضعيف لم يضمحل و أنّه ذو هوية وثقافة، وله القدرة على الاستمرارية رغم محاولات الاستعمار التي باءت بالفشل.

لذا جاءت كلمة ما بعد التي تعني أنّ الكتابة بدأت بعد خروج الاستعمار واستقلال هذه الدول لأنّ حرية الأفكار مرتبطة بحرية الرأي والتعبير، وهذا لا يحصل إلاّ بعد الاستقلال.

---

[1]- عبد العزيز شعبان، زيف الفضاء مابعد الكولونيالية،العين الثالثة تطبيقات في النقد الثقافي ومابعد الكولونيالي،دار ميم للنشر،الجزائر،ط1،،2018 ص173.

وجاء في كتاب موسوعة النظريات الأدبية: "إنّ نظرية ما بعد الكولونيالية او مابعد الاستعمار يتم تفسيرها من منظور ضيّق مُرتهنٌ بفترة تاريخية مُعيّنة أعقبت زوال الاستعمار، أو الفترة التي أعقبت الاستقلال السياسي الذي حصلت عليه الدول

التي كانت واقعة تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، والذي منح أبناءها فرصة التحكم في مقدراتها، ذلك أنّ نظرية ما بعد الكولونيالية لا تعني مجرد تسلسل زمني أحادي الإتجاه ، أي انتهاء عصر الكولونيالية ليحل محلّه عصر آخر في أعقابه، وإنّما هناك اشتباك جدلي وفكري، وثقافي وحضاري ومادي واجتماعي بين الكولونيالية وما بعدها. "[1]

يقر الكاتب في تعريفه أنّ ما بعد الكولونيالية لم تأت من العدم، إنّمّا هي حوصلة لما قبلها فالعلاقة بينهما علاقة جدلية بين ثقافة الاستبداد والاستعمار وبين ثقافة التحرر والعدل بين المجتمعات، غير أن نظرة مابعد الكولونيالية مبنية على الحوار والأدلة وأسلوب الاقناع على غرار الآخر الذي لا يرى للوجود سبيلا إلاعن طريق القوة.

ويعتبر أدب ما بعد الكولونيالية بحث وقراءة في الفكر الغربي وما يحمله من ثنائيات متناقضة وخاصة حين تعامله مع الشرق، فراح هذا النوع من الأدب يعمل على كشف الأنساق المضمرة ثقافيا وسياسيًا وتاريخيًا قصد الوقوف على حقيقة وادعاءات هذا العالم الذي أراد أن يحمل الخير لهذه الدول، وعليه يمكننا التساؤل عن الأسس والمرتكزات التي قامت عليها مابعد الكولونيالية، إذن ماهي أسسها وما أهم مرتكزاتها؟

2- الأسس المعرفية والفكرية التي قام عليها : من الأسس التي بنيت عليها نظرية ما

---

[1]- نبيل راغب:موسوعة النظريات الأدبية،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط1 2003،ص549

بعد الكولونيالية حسب مجلّة الاستغراب هي :

- فهم ثنائية الشرق والغرب، مواجهة التعريب، تفكيك الخطاب الاستعماري، الدفاع عن الهوية الوطنية والقومية، علاقة الأنا بالآخر، الدعوة إلى علم الاستغراب، المقاومة المادية والثقافية، النقد الذاتي غربة المنفى، التعددية الثقافية.

إنّ المُتمعن في هذه الأسس والمرتكزات التي بنيت عليها هذه النظرية، والتي تعد قراءةً للخلفية الفكرية للغرب، وكيفية تعامله مع الآخر تعتبر تشريحا ومقاربة تحليلية لشتى جوانب الحياة من ثقافية وسياسية وتاريخية مع كشف الأنساق الثقافية المُضمرة التي تتحكم في الخطاب الغربي، ولْنَقف عند هذه المرتكزات كل واحدة على حدة:

أ- **ثنائية الشرق والغرب:** كان لزامًا على الدول المستعمَرة ان تعرف طبيعة هذه العلاقة وذلك بعد استرجاع الماضي ونيّة المستعمِر فيما بعد، وهل كانت هذه العلاقة مبنيّة على الاحترام والتسامح أم أسّست على مصالح نفعية ذاتية، وعليه تفطن اصحاب نظرية ما بعد الاستعمار أن يفكّكوا ويقوّضوا كل الخطابات الكولونيالية التي من شانها المركزية والتغطرس والعدوانية.

ب- **مُواجهة التغريب:** لقد عَمَل هؤلاء على محاربة التغريب وكل سياسة هدفها الاستعلاء والسعي وراء كشف وتعرية زعمات هؤلاء من خلال النظرة الإديولوجية والتميز العنصري وفضح النوايا الاستعمارية التي تهدف إلى تكريس الأفضلية والتمركز إلى جانب الجشع واستغلال خيرات البلدان المستعمَرة..."[1]

---

[1]- ينظر جميل حمداوي ، مرتكزات نظرية مابعد الاستعمار، مجلّة الاستغراب ،ص60 -61

ت- **تفكيك الخطاب الاستعماري:** إنّ الخطاب الاستعماري كان مبنيًا على الهيمنة والتميّز مُتبنيًا سياسة" فرّق تسد" ، وبالتالي عملت هذه النظرية على تفكيك هذا الخطاب ومراجعة كل ما جاء به وتفنيد كل مسلماته.

ث- **الدفاع عن الهوية الوطنية:** لقد بذل الغرب كل جهده من اجل فرض الهوية الغربية على مُستعمراته، وذلك من أجل طمس هوية وثقافة هذه المستعمرات، غير أنّ الامر كان عكس ذلك، فقد دافعت هذه المستعمرات عن هويتها الوطنية والقومية منتقدين كل سياسة من شانها الاقصاء وتهميش الآخر، فنجدهم ساندوا قضايا التحرر واستجمعوا كل قواهم الفكرية من اجل احياء التراث وبعثه من جديد، سواءً على مستوى الدول العربية او غيرها، وسخرّوا حتّى لغة الاستعمار لمُحاربته ، وهذا يتمثل في الادب المكتوب باللغة الأجنبية.

ج-**علاقة الأنا بالآخر:** إنّ الأمر الذي دفع نظرية ما بعد الاستعمار إلى كشف مستور الغرب ودسائسهم هو العلاقة بين الانا والآخر، إنّها علاقة مبنية على الصراع والكراهية ولم تكن قائمة على التسامح والعدل والتعايش السلمي.

ح-**الدعوة إلى علم الاغتراب:** إنّ الانطلاقة الأولى التي اعتمد عليها الغرب لمعرفة الشرق هي علم الاستشراق ، ممّا دفعهم وفتح المجال أمامهم للتعرف على الآخر، الشيء الذي دفع رواد هذه النظرية إلى تأسيس علم جديد يسمى بعلم الاستغراب من اجل دراسة ومعرفة وكشف خبايا الثقافة الغربية...[1]

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص61

خ- **المقاومة المادية والثقافية:** وذلك لم يوقف جهد هذه النظرية عند الرد بالكتابة وإنما تعدّى ذلك إلى مقاومة هذا المستعمر بكل ما يملكون من وسائل قصد فضحهم وتشتيت آرائهم وأفكارهم.

د- **النقد الذاتي:** لقد بَنَت هذه النظرية موقفها على تصحيح الذات ،لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه، لذا سلطوا الضوء على ذواتهم ، وتبيان مواقفهم وتوحيد آرائهم نحو هذا المعتدي مع التركيز على الطبقة المثقفة التي تعمل على نشر الوعي والأفكار السليمة والتي من خلالها يُدرك اتباع هذه النظرية أنّهم قادرون على تغيير واقعهم لمجابهة ما فرضه الاستعمار بكل ثقةٍ ورزانة.

ذ- **غُربة المنفى:** من حيل الاستعمار أنّه لمّا ادرك انّ التدخل العسكري لا يُجدي نفعًا بل استنزاف للطاقة البشرية والمالية راح ينتهج نهجًا آخرًا ، والمتمثل في تكوين طبقة من ابناء هذه المستعمرات ليسلمها الحكم بعد خروجه، وتبقى الهيمنة بطريقة غير مباشرة، هنا نجد الطبقة الوطنية المثقفة ُتعاني الغُربة من ناحيتين، غُربة الافكار وغُربة المنفى، فالأولى فرضها الاستعمار لبثّه افكارا لا تتماشى وهوية هذه المجتمعات، فأرادوا ان يُحاربوا هذه الافكار فوجدوا المُواجهة من طبقة زعمت انّها اخذت استقلالها ،غير انّها من المُولاة وبالتالي عرّضوا هؤلاء إلى التهميش والمنفى والإبعاد عن اوطانهم وأهلهم.

ر- **التعددية الثقافية:** من مبادئ نظرية ما بعد الاستعمار هو رفض المركزية الغربية، وبالتالي حملوا شعار التعددية الثقافية بالانفتاح على كل الثقافات كالثقافة العربية والأسيوية والافريقية...وهذا من أجل انتاج ثقافة متكاملة تفرض سياسة التعايش والتلاقح...[1]

---

(1)- ينظر المرجع السابق، ص62 -64

3-أهم رواد نظرية مابعد الكولونيالية : إنّ نظرية ما بعد الكولونيالية جاءت كرد فعلٍ على الكولونيالية ونتيجة للمُمارسات الاستعمارية التي تكشف عن الاهداف الحقيقية التي كان يسعى وراءها الاستعمار، لذا تبنى مجموعة من النقاد هذه النظرية لاستظهار وتبيان الاسس المزيفة التي تأسست عليها الكولونيالية، وتفنيد المَزاعم والشعارات التي دعا إليها هؤلاء، فمنهم من ينتمون إلى الغرب ومنهم من ينتمي إلى العالم الثالث، فنجد:

1- إدوارد سعيد: وهوكاتب فلسطيني ألّف جملة من الكتب منها كتابه القيم(الاستشراق) سنة1978، والذي استعرض فيه تاريخ الاستشراق الغربي ومراحل تطوره، ويُعدّ "إدوارد سعيد من رواد علم الاستغراب، ومن محلّلي الخطاب الاستعماري، ومن اهم منظري نظرية مابعد الاستعمار، لذلك اعتبر مؤسسًا لهذا الحقل المعرفي الذي يعنى بتفكيك الخطاب الاستعماري او الكولونيالي، ولأنه ايضًا اهتم باستكشاف الانساق الثقافية المضمرة في المؤسسات المركزية الغربية بتحليل الخطاب الاستشراقي تفكيكًا وتشريحًا وتقويضًا، مُعتمدًا في ذلك على التمييز بين المعرفة الخالصة والمعرفة السياسية، وكذلك الاهتمام بالمنهجية في التعامل مع الأفكار، بالإضافة إلى الجمع بين الموضوعية والذاتية القائمة الوعي النقدي.

2-هومي بابا: وهوباحث هندي ، وقد تأثر كثيرا بإدوارد سعيد ومشيل فوكو وغيرهم ، وقد اهتم برصد العلاقات الخفية والمتبادلة بين الثقافات المهيمنة والمُستعبدة، ولاسيما في مجلده(مركز الثقافة)، ومن هنا يعتبر **"هومي بابا"**من رواد نظرية مابعد الاستعمار..[1]

---

[1]- ينظر جميل حمداوي رواد نظرية ما بعد الاستعمار مجلّة الاستغراب،ص64-68.

وعلم الاستغراب على حدٍّ سواء ،حيث واجه الغرب بمنطق الفكر التفكيكي.

3- جياتري سبيفاك: وهي ناقدة هندية ، ومن المؤسسين الفعليين للخطاب الكولونيالي، وتعد اوّل مُنظّرة نسوية وأول امرأة في نظرية ما بعد الاستعمار، فعملت على انتقاد الحركة النسوية الغربية، وقد اهتمت "سبيفاك"بالدفاع عن المرأة الشرقية وواجهت الهيمنة الغربية مسلطة الضوء على الادب والثقافة.

4- فرانز فانون: وهو أحد المُعمِّرين الذين حاربوا الاستعمار والعنصرية، فنظرية ما بعد الاستعمار لا تقتصر على كتّاب آسيا وافريقيا، فهناك بعض الغربيين الذين ارتبطت اسماؤهم بهذه النظرية، فمثلا (فرانز فانون) تتجلى مواقفه في كتابه معذبو الأرض، والذي من خلاله حلّل طبيعة الاستعمار الكولونيالي محاربًا المنظومة التي ينتمي إليها منتقدا التسلط والتمييز والنظرة الاستعلائية وخاصّة في افريقيا إلى جانب هؤلاء نجد: عبدالوهاب المسيري، وحسن حنفي، والانجليزي روبرت يونغ.

وأخيرًا يمكن القول أنّ نظرية مابعد الاستعمار كان هدفها تقويض الرؤية المركزية عند الغربيين ومجابهة هذه الأفكار وتفكيك الخطاب الاستعماري الأحادي الجانب. وقد توسعت هذه النظرية لتشمل حتى هؤلاء الكتّاب الغربيين الذين ثاروا على منظومتهم الثقافية ،واعتبروها ثقافة حيالية مبنية على الاذلال والهيمنة والاستعلاء والتمييز،لأنّهم عايشوا أحداثها وفهموا المعنى الحقيقي من ورائها، فبذلوا جهدا لتعرية هذا الاستعمارو فضحه ووقفوا إلى جنب الضعفاء فدوّن التاريخ أسماءهم ونقشها بحبر من ذهب في ذاكرة هذه الشعوب، لأنّهم كانوا عونًا لها على تحقيق الاستقلال وافتكاك الحرية الضائعة وراء مزاعم كاذبة... [1]

---

[1] - **ينظر المرجع السابق ، ص 70- 72**

المطلب الثاني

دور الكتابة في تفكيك الموروث الاستعماري ونظرتها للآخر الغربي

1- الرد بالكتابة
2- صورة الآخر(الغربي) في ظل الكتابات مابعد الكولونيالية

1- الرد بالكتابة : كل الأسس التي انطلقت منها نظرية ما بعد الكولونيالية مرجعها إلى الكتابة لأنّها الأسلوب الأنجع والطريقة الأمثل، فأصحابها أدركوا أنّ الحوار هو مفتاحٌ للتقارب ، ولعلّ تبيان عُيوب الاستعمار والوقوف عند جرائمه رسالةٌ مشفرة يأخذ منها هؤلاء العبرة لتصحيح مواقفهم اتجاه مستعمراتهم ،ولكن هل طريقة الرد بالكتابة أجدت نفعًا؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من الوقوف عند بعض النماذج التي تصدرت الحدث المتمثل في حقيقة الشخصية الغامضة التي حاول الاستعمار طمسها ،والتي أطلت بثوب جديد لم يتوقعه هذا المستبد ،وعلى سبيل المثال نجد رواية موسم الهجرة إلى الشمال للكاتب السوداني الطيب صالح عبقري الرواية العربية، والتي استطاعت أن تصل إلى وعي القارئ العربي والغربي أيضًا بعد ترجمتها إلى لغات عدّة .

هذه الرواية جمعت بين الماضي والحاضر والمستقبل، والمتمثلة في العلاقة بين الغرب والشرق، وذلك من خلال ثلاث شخصيات رئيسية عبرت كل منها عن رؤية للواقع الذي تمثله، فالراوي يمثل ذلك الشخص الذي عاش حياته بعد رحيل الاستعمار، ثم تأتي شخصية الجد التي عبرت عن البساطة والماضي التليد لهذا المجتمع، وبعدها الشخصية الثالثة والمتمثلة في مصطفى سعيد، والذي يرمز إلى التضارب الحاصل في التمازج الحضاري والتعارك بين الثقافة الأصلية والدخيلة، وكيف تأثرت هذه الشخصية بالوافد الجديد(الحضارة الغربية)والابحار فيها، غير أنّ بعد العودة حدث مالم يكن بالحسبان لكونه تعوّد على أشياء لم يألفها بلده السودان... [1]

---

(1)- ينظر الطيب صالح ، موسم الهجرة إلى الشمال، دارجيل بيروت ،ط1 ،1997،ص13-15

وعليه عاشت الشخصية الأخيرة غُربتين ، الأولى أنّه شخصية مرفوضة من قبل المجتمع الانجليزي لأنّه دخيل ،والغربة الثانية التحول الحاصل في هذه الشخصية التي أصبحت تحمل عادات وصفات حاربها مجتمعه السودان، ومن ثمّ كل المُسْتَعمَرات، وهذا هو التقليد الأعمى الذي يمثّل السقطة التي وقع فيها مصطفى سعيد، فالرواية تمثّل واقعًا مؤلما عاشته المجتمعات أثناء وبعد رحيل المستعمر الذي نهب وحرّف وبدّل وطمس كل ماله علاقة بهذه المجتمعات وتركها تائهة حائرة في أمرها وأيّ السُبل تسلك؟

فمنهم من انسلخ عن هويته باسم التحضر والتمدن ، ومنهم من تمسّك بماضيه ولم يقبل كل ماله علاقة بالمستعمر... [1]

هذه هي مخلفات الاستعمار الغربي الغاشم الذي هلك الحرث والنسل، ورواية موسم الهجرة إلى الشمال التي تعتبر ردًا واضح المعالم على رواية(قلب الظلام) لجوزيف كونراد، التي تمثل شهادة أدبية لممارسات الاستعمار على هذه الشعوب زعمًا منه نقل الحضارة والتمدن لها، فقد جسدت الواقع المؤلم لهذه الشعوب ، وأبطلت كل ما جاءت به قلب الظلام ، فكونراد وصف في روايته الشعوب المستَعمَرة بالبربرية والتوحش والتخلف وأنّها شعوب تعيش في الظلام وكأنّ أوروبا تحمل لهم النور ،غير أنّ التاريخ كشفهم وانقلب السحر على الساحر، فالتوحش والبربرية تجسدت في شخصية من ادعوا الانسانية ونقل الحضارة، وما تعيشه الأمم المستضعفة اليوم خير مثال على ذلك، وَلْنَرَ العراق وسوريا وفلسطين وغيرها كثير.

---

(1)- ينظر المرجع السابق،، ص 15 -16

غير أن الواقع فنّد هذه الأباطيل وبيّن أنّ حضارتهم حضارة مادية بُنيت على كاهل العالم الثالث، وكانت رومانسية هؤلاء هدفها استمالة القلوب والتشويش على العقول لتحقيق مآرب الرجل الأبيض لا غير، ونجد ايضًا رواية الأشياء تتداعى لـ أتشيبي وهي إحدى روائع الأدب الإفريقي ، وهي الرواية التي تنتصر للهوية الافريقية، وذلك بعدم خضوع قبيلة الإيبو للقوى الاستعمارية، حيث رفضوا الدين واللغة وأسلوب الحكم الامبريالي، والمحافظة على الإرث الثقافي ومقاومتها للمحتل بكل الوسائل...[1]

2- صورة الآخر في ظل الكتابات مابعد الكولونيالية

كنا تطرقنا في مبحث الأدب الكولونيالي إلى الآخر، والذي نعني به الشرقي أو المستعمَر وتصويره من قبل الغرب، أمّا الآخر في الأدب ما بعد الكولونيالية هو الغربي أو هذا المستعمِر الذي شكل هاجسًا في نفوس مستعمريه ، فكان شُغلهم الشاغل.

والذي أصبح صنمًا مُتربّعًا على عرش أفكارهم، فما كان عليهم إلاّ تحطيمه وإزالة كبريائه واسترجاع العزّة والنخوة المسلوبة وذلك عن طريق الكتابة الروائية التي أعربت وأفصحت عن عربدة وتطاول هذا المستعمر والمتمثل في الآخر، وخاصّة بعد القرن التاسع عشر والقرن العشرين الذي كان لزامًا على الدول المُستضعفة أن تُثبت وجودها وان تعرّي نوايا الآخر، وذلك من خلال تصويرها له كي يعرف مكانه ومقامه وألاّ يُكرّر حماقته مرّة أخرى تحت مصطلحات مشبوهة ومزعومة .

---

(1)- ينظر تشنوا أتشيبي ، الأشياء تتداعى ، ت سمير نصار ، الأهلية للنشر والتوزيع ،ط1، 2002 ،ص 66

والآخر هو ذاك الغربي الذي حط الرحال في غير أرضه غازيا ومستعمرًا والكتابة عنه من قبل مستعمريه دليل على التعرف عليه والتوجه إلى كشف أغوار هذه الشخصية

إمّا عن طريق الرحلات العربية أو الإفريقية إليه، أو عن طريق الصورة التي رسمها لنفسه إبّان الاحتلال ، والرواية هي الجنس الأدبي الذي استطاع ان يرسم صورة الآخر لأنّها تعتمد (الرواية) على السرد والوصف والتحليل، وهذه الاعمال الروائية جسدت لنا الآخر في شكلين إثنين، وذلك من خلال نظرة تلازم بين الاعجاب والانبهار وأخرى تتجلى في العداوة والبغضاء، فنظرة الإعجاب بالآخر والتأثر به تجلّت في البعثات العلمية إلى اوروبا لتدارك التقدم الحضاري والعودة إلى الأوطان للنهوض بها.

غير أنّ هؤلاء وجدوا أنفسهم في تضارب بين مجتمعين يختلفان اختلافًا جذريًا في شتّى ميادين الحياة، وهذا ماحدث مع رفاعة رافع الطهطاوي ، ذلك الشاب الذي نشأ نشأة أزهرية، ممّا أهّله قيادة البعثة إلى فرنسا متحدّثًا عن رحلته من خلال كتابه الشهير" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" والذي اختصر فيه رحلته إلى باريس واصفًا كلّ ما رأته عيناه، وهذا دليل انبهاره بالآخر حيث يقول:"... ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة ، يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنتزهات خصوصا يوم الأحد...ومما قيل أن باريس جنة النساء."[1]

وغيره كثير ممن تأثروا بالثقافة الغربية كقاسم أمين وطه حسين وهذا على سبيل المثال وليس الحصر.

---

(1)- رفاعة رافع الطهطاوي ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة ، 2012 ، ص90-91

أما القسم الثاني الذي رفع راية المناوءة والعداوة والتصدّي، فنجد الأسيوي والإفريقي ومنه العربي الذين جعلوا من الرواية منصّة للتعبير عن مواقفهم تُجاه الآخر، هذا المحتل الذي رسم صورة مَشينة في مخيّلة هؤلاء فجسدوا ذلك برسم لوحة فنيّة عبّرت عنها الحروف بدلاً من الالوان لتكشف حقيقة الغرب من جهة ومكامن الأنا من جهة أخرى، ولا يخفى على أحدٍ أنّ رفض الآخر، وعدم قبوله لا يزال بارز الملامح في وصف العلاقة بين الشرق والغرب، ويصدق فيه قول الشاعر الإنجليزي روديارد كيلينغ :" الشرق شرقٌ والغرب غربٌ، ولن يلتقيا."[1]

لأن الاختلاف بين المجتمعين تربطه عادات وتقاليد وفوق ذلك ، الجانب الأيديولوجي الذي يحكم العالم الشرقي، وهذا الكلام يقودنا إلى التحديّات التي كانت ولازالت تواجه الكاتب الروائي في الدول المستعمِرة، يقول عامر جميل الصرايرة:" وفي خضّم هذه التغيرات السريعة وبازدياد وعي المُثقف العربي بأزمته، وجد هذا المثقف نفسه وجهًا لوجهٍ مع ضرورة اختيار موقف محدد في التعامل مع الواقع، فإمّا أن يحتمي بالانسحاب ويتجنب المواجهة، وإمّا المسايرة الظاهرية والرفض الضمني له."[2].

---

(1)-أحمد شحيمط ،الأنا والآخر في الرواية العربية الحوار المتمدن ،العدد6139 ،2019

(2)- عامر جميل الصرايرة: رسالة دكتوراة جدلية العلاقة بين الشرق والغرب،جامعة مؤتة،الأردن2013ص38.

وقد جاء في رسالته أيضًا انّ القطيعة مع الآخر ورفضه وعدائه ترتكز على مايلي:

- مكانة العرب الدولية المتواضعة.
- هدر العرب امكاناتهم في المآزق الطائفية والإقليمية.
- الاحساس بالخيبة القومية إثر الهزائم المتكررة في مواجهة الاستعمار الغربي...[1]

وكان هدف الدولة المستعمَرة بناء ثقافة وطنية مستقلة من خلالها عن الدول المستعمِرَة، وذلك بداية باللغة لأنّها أصل الثقافة واثباتٌ للهوية، وهي ايضًا مَلمَحُ للتخلّص من الكولونيالية الاستعمارية، يقول "بيل أشكروفت : " أمّا في البلدان الافريقية وفي الهند أي في بلدان ما بعد الكولونيالية حيث البدائل الحيوية للغة الانجليزية لا تزال موجودة كانت مناشدة العودة إلى الكتابة بلغات ما بعد الكولونيالية على وجه الحَصر.."[2]

وعلى إثر هذا يتبين مدى رفض الآخر والتعامل معه بكل حزمٍ من أجل اثبات الأنا المسلوبة تحت رداء العنصرية والتمييز.

---

(1)- ينظرالمرجع السابق ص41.

(2) – بيل أشكروفت ، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في أدب المستعمرات القديمة ، ص60

الفصل الثاني

الأدب الأمريكي وتصويره الزنوج

المبحث الأول

الحركة الزنجية عبر الثقافات المختلفة

المطلب الأول

الحركة الزنجية. مفهومها. نشأتها .مرتكزاتها

1- مفهوم الزنجية ونشأتها
2- مرتكزات الزنجية

- تمهيد : يعتبر اللون من أكثرالأمور حساسية في أي ثقافة من الثقافات لأنه يخضع للتباهي حتى صار ثقافة اجتماعية تقوم مقام الطبقية ، وقد مر عليه تصنيف مباشر ارتبط بالقيّم السياسية والثقافية في نفسية المجتمع ،وأصبح هذا الأخير نسقا ثقافيا تبنى عليه علاقة الأنا بالآخر والأسود واحد من الآخرين الذين اتجهت نحوهم الأنظار فسال في وصفهم حبر كثير واختلف حولهم الأدباء والنقاد حتى جاء النقد الثقافي ليجسد أمراض المجتمع ،و يحلُّ العُقد التي أُبْرمت جراء سوء الفهم .

فهنا كان جواب السود بمواقف ترفع من مكانتهم وترد الشوائب والتهم التي ألصقت بهم زورا وبهتانا فظهر من بينهم كتاب وأدباء جعلوا من الرد بالكلمة سلاحا وأثبتوا للعالم أن العيوب عامة وليست خصوصية ثقافية ، بل كل الثقافات لها مزايا وأمراض .

وقد تمثل نشاط هذه الفئة من المجتمع بإثبات وجودها وذلك بظهور حركة اجتماعية أدبية ،تتجلى في الحركة الزنجية التي أصبح لها صيتها وأنصارها إذا ما مفهوم هذه الحركة وكيف نشأت .؟

01-مفهوم الزنجية ونشأتها: الزنجية مصطلح يطلق على أصحاب البشرة السوداء ويتفق علماء الأجناس على أن إفريقيا هي المصدر الأساسي للزنوج وقد جاءت هذه الحركة كرد فعل على المركزية الغربية التي مارست عليها الاضطهاد والتهميش وتشويه ووصفهم بأبشع الأوصاف وحرمانهم من القراءة والكتابة ،بل من أدنى الحقوق ،واتصف الزنوج أنهم ذوو الرؤوس الصغيرة والجباه المستيدرة والفك العلوي البارز ، والبشرة السوداء والشعر الصوفي النادر على الجسم واللّحية .

وفي مجملها ملامح تقلل من قيمة الزنجي وشأنه ، إضافة إلى وصفه بالخيانة وملازمتها له ، حيث تقول ماجدة حمود عن الزنجي في الباب الخامس ، صورة الآخر في ألف ليلة وليلة " نلمس في الليالي الصورة النمطية للزنجي ذات الملامح الإنتقاصية التي مازالت تلاحقه إلى اليوم ... إنها صورة العبد الخادم ... إذ لازمت الخيانة صورة العبد منذ افتتاحية القصة الأساسية ." [1]

هنا دلالة على أن المنظر البشع يعكس طبيعة الزنجي الذي تبدو صنائعه ترجمان لسواد بشرته ، وكأن سواد البشرة لا ينبئ إلا عن عمل دنيء وهذا ماجاء في قولها أيضا :" فقد وجد شهريار زوجته تخونه مع عبد أسود فعانى أزمة نفسية دفعته إلى قتل كل امرأة بعد ليلة زفافها." [2]

وكأن جريمة القتل التي أصبحت تلازم شهريار سببها الأسود ،بل صار الزنجي في قاموسهم بعد اختلال القيم الأخلاقية من أكلة لحوم البشر ، وأن جزيرته جزيرة الموت والرعب ، وهكذا مورس عليه أقصى تشويه تقول ماجدة حمود :" لكن أقصى تشويه لصورة الآخر الزنجي قدمته الليالي هي جعله من أكلة لحوم البشر ، فأخرج الإنسان بسبب لونه من طبيعة الإنسانية ليوضع في مرتبة الحيوانات المتوحشة ، وأما جزيرة الزنوج التي يصلها التجار في الليلة 301 فهي جزيرة الموت والرعب ." [3]

---

(1) - ماجدة حمود ، صورة الآخر في التراث العربي . الدار العربية للعلوم ناشرون .ط1لبنان 2010ص237

(2) - المرجع نفسه ص237

(3) - المرجع نفسه ص238

المتأمل يرى حقيقة هذه الأوصاف التي تكرس الطبقية ، وتميّز الأنا لتفرض صورة نمطية لهذا الزنجي ، وإخراجه من دائرة البشرية لتمارس عليه كل أنواع العبودية ليبقى دائما يئن تحت وطأة المركزية الغربية دون أن يحرك ساكنا وأن لا يأمل في تجاوز هذه الصورة المفروضة عليه ، والتي جعلته يفتقد إلى الإنسانية وروح الأخوة التي تربط البشر ببعضهم .

غير أن الزنوجة في الأدب يشير معناها إلى خصائص أسلوبية وأدبية تميزت بها كتاباتهم والتي من خلالها حاولوا إثبات وجودهم نظرا للاضطهاد والاستعمار ، وكما جاء في كتاب دليل الناقد الأدبي :" وكما هو الحال في الزنجية نشأت في عدد من مناطق العالم المستعمر (بفتح الميم) سابقا حركات وتوجهات فكرية وبحثية تستهدف نهضة الثقافات المحلية أو القومية بالإضافة إلى تعرية الخطاب الاستعماري وحمولته الثقافية والمعرفية ."[1]

فالهدف من هذه الحركة هي أن تجعل من الأدب وسيلة للدفاع عن الذات وإثبات الهوية من خلال الثقافة المحلية التي حاول الاستعمار طمسها إلى جانب الرد بالكتابة لكشف خباياه ومطامعه التي حاول من خلالها تشويه صورة الزنجي كي يستمر عبدا خادما للجنس الأبيض .

فالزنجية هي مجموعة من المفاهيم والمرجعيات التي تحكم سلوك الزنجي وطريقة تفكيره ، وعلاقاته مع غيره ، وأنها حركة تحمي تراثه الإفريقي وتثبت

---

[1]- ميجان الرويلي ، سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب .ط3 .2002ص160

أنه صاحب حضارة قديمة تنافس باقي الحضارات ، يقول أشيل مبيمبي :" لأن الزنجي هو ذلك (أو هو ذاك أيضا) الذي نراه عندما لانرى ولانفهم شيئا ،وخاصة عندما لا نريد أن نفهم شيئا، فحيثما يظهر يطلق الزنجي ديناميات عاطفية ويثير فيضا لا عقلانيا يمتحن دوما منظومة العقل ذاته ..." [1]

أراد أشيل مبيمبي أن يثير قضية تتجلى في كون الزنجي ظاهرة حيرت العقول لأنه مفعم بالحيوية والحب والنشاط مما بنبغي أن يجعل محل اهتمام ودراسة من قبل أهل الاختصاص ليفهموا هذا المخلوق المتميز والمهمش في آن واحد ، فهذه الحركة عبرت عن الفكر الثقافي والسياسي للقارة السمراء انطلقت من أمريكا لتنتشر في كل الأقطار التي تشهد تميزا عنصريا .

وقد أثرت الفلسفة الهيجلية في تطور الفكر الزنجي مع بداية القرن التاسع عشر وهذا حين أصدر أحكاما من شأنها الانتقاص وتهميش العرق الأسود حيث استثنى السود من التطور التاريخي يقول هيجل :" استعبد الأوروبيون الزنوج وباعوهم في أمريكا ، والعبودية منتشرة بصفة مطلقة في إفريقيا ذلك لأن المبدأ الجوهري للرق أو العبودية هو ألا يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة عدم الوعي بحريته وينحدر بالتالي إلى مرتبة الشيء المحض أي يصبح موضوعا بغير قيمة ، والمشاعر الأخلاقية عند الزنوج ضعيفة للغاية أو هي معدومة إن شئنا الدقة." [2]

---

(1)- أشيل مبيمبي . نقد العقل الزنجي .ت طواهري الميلود .دار الروافد الثقافية ناشرون .ط1. 2018ص10

(2)- مونيس بخضرة .هيجل وإفريقيا في نقد ضحالة الوعي الاستعماري .مجلة الاستغراب .العدد12. 2018 . ص161

يقرّ هيجل أن الزنوج ألفوا العبودية وأصبحت من خصالهم ، ولا يمكنهم التخلص منها حتى أصبحوا على هذه الحال ، أي بغير قيمة ولا مكانة ولا مشاعر أخلاقية وإن وجدت فهي ضعيفة .

كل هذا الكلام يعتبر ارهاصات أولية مهدت للزنوج إعادة الاعتبار لأنفسهم، وذلك من خلال هذه الحركة التي بدأت في نيويورك سنة 1919 م ، عندما أطلق عليها حركة الزنوج النهضوية .

وبعد الولايات المتحدة تأسست في باريس مجلة العالم الأسود سنة 1921م ،وأصبحت منبرا لرموز هذه الحركة مثل :لانغستون هيوز،ليوبولد سنغور، وإيميه سيزار الذي كان يلقب بأبي الزنوجة. وكان حلم هؤلاء القادة وحدة الزنوج الثقافية .

يقول الأديب والمحامي السوداني كمال الجزولي:"نشأت إذن حركة الزنوجة كغيرها من الحركات الثقافية الافريقية على نسق وجداني يربط بين جميع السود والملونين ليس في القارة وحدها ، وإنما ايضا في أمريكا الشمالية ،وجزر الهند الغربية جاعلة قضيتها الرئيسة مجابهة الخطاب الكولونيالي " [1]

فتبنت الحركة قضايا الظلم ،والتمييز التي سلطت على المستضعفين ،وهدفها في ذلك هو الدفاع عنها دون النظر إلى اللون أوالعرق ،وإنما هناك نفوس مفعمة بعواطف التحرر والخلاص من سياسة الاستعباد.

---

[1]-كمال الجازولي،الزنوجة وسط شواغل الفكر الإفريقي ،صحيفة سودانايل 2018

وبالجملة أدب الزنوجة هو بمثابة صرخة الهوية والوعي بالذات والمعاناة التي تكبدها الانسان الأسود وسط مجتمع لايرحم ،مختصرا في ذلك الطريق إلى التحرروالانعتاق لأن السواد لايعني العبودية بقدر مايرمز إلى طلوع شمس ساطعة تضيء وتحرق.

أ- مرتكزات الزنجية :

يعتبر الأدب الزنجي الناطق الرسمي للهوية الثقافية الإفريقية ورغم التغييب الذي شهده إلا أنه اكتسى نبرة شديدة وحادة في رفع المظالم الإنسانية والثقافية عن كاهل الإفريقي ، وأصبح الوسيلة الإعلامية التي بها يكشف حجب الظلمات عن حقائق الإنسان الأسود ، وما تعرض له من تهميش ونظرة سلبية من قبل الآخر، فغيرت هذه الحركة وبأصوات إفريقية زنجية مبدعة بكشف الحقيقة وتعرية مزاعم الحضارة الغربية ،وذلك برسم صورة لمرارة الماضي والتطلع إلى مستقبل مشرق لعل وعسى أن يُنصَف فيه المظلوم .

وقد ارتكزت هذه الحركة على استنطاق الجانب الثقافي الذاتي للأسود ليعبر عن أصالته وانتمائه الحضاري وذلك عن طريق الشعر والرواية والمسرح ، وجعل من هذه المرتكزات السند الأساسي لوجوده ،من خلال دفع المثقفين الزنوج إلى الرد بالكتابة ،والدعوة إلى التخلي عن الثقافة البيضاء ، والعودة إلى الأصول الإفريقية وهذا لايعني العنصرية ضد الجنس الأبيض ، بل هي دعوة للتحرر من براثن التخلف والجهل وصدّ كل ما يقلل من شأن السود وسَعَتْ الطبقة المثقفة إلى لمّ شمل الزنوج .[1]

---

(1)-أنظر علي شلش الأدب الإفريقي عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب. الكويت العدد112 ، مارس 1993

فجعلت من هذه الأجناس الأدبية قنوات للتواصل،و تمثلت فيما يلي :

1- الشعر : وهو ذلك الفيض من الأحاسيس والمشاعر الذي يترجم عن النفس ويجسد الواقع والشاعر هو لسان أمته الناطق وقلبها النابض الذي ينقل همومها ويخفف آلامها، ويعتبر الشعر أول محتضن لهذا المولود الجديد المتمثل في الزنجية ، والتي ولدت وترعرعت بين أحضانه .

ومن بين هؤلاء الشعراء إيمي سيزير وهو أبرز وجوه التيار الزنجي بل ذاكرة إفريقيا ولسانها الناطق إضافة إلى وليو بولد سينغور ابن السينغال الذي كان يلقب بالشاعر الرئيس ، وكذلك وليون داماس هؤلاء الشعراء الثلاث عبروا عن مدى حبهم لإفريقيا وتعلقهم بتراثهم وقد كان للشعر السبْق في الظهور بالنسبة للفنون الأخرى في إفريقيا .

يقول علي شلش :" للشعر بوجه عام سبق في آداب الأمم الأخرى وهكذا الحال في إفريقيا خارج مجال العربية حيث نجد فنون الشعر أقدم من فنون النثر ، بل نجد للشعر مكانة بارزة في الآداب المكتوبة وغير المكتوبة على السواء ، وقد لفتت هذه الظاهر انتباه كثير من المستفرقين ." [1]

فالشعراء الأفارقة استطاعوا أن يروضوا الشعر للتعبير عن هموم قارتهم والتصدي للآخر الذي حاول طمس ثقافتهم ، فبالشعر حفظوا وجودهم وافتخروا بتركيبتهم الزنجية ،على الرغم من أن الشعر لم يلق أي تشجيع من السلطات الاستعمارية إلا أنه استطاع أن ينقل ويبدل وجه القارة السمراء .

---

[1]- المرجع السابق . ص35

وقد استطاع الثالوث المذكور آنفا أن يجعل من الزنوجة كلمة سرّفي الشعر الإفريقي وعلى سبيل المثال نجد سنجور يقول في قصيدة بعنوان "في الذكرى"

- اليوم يوم أحد
- ينتابني الخوف من وجوه زملائي الحجرية المزدحمة
- ومن برجي الزجاجي الذي تسكنه ألوان الصداع
- والأسلاف القلقين
- أرى الأسطح والتلال ملفوفة بالضباب
- بالسلام ، وأرى المداخن مهيبة عالية
- ينام عند سفوحها موتاي
- يالأحلامي صارت هباء كلها
- كل أحلامي
- فالدم يسفح بالمجان في الشوارع
- ويختلط بدم المسالخ [1]

ففي هذه الأبيات يتحسر الشاعر على السلام الذي ذهب هباء عقب الحرب العالمية الثانية وماحدث لبني جنسه وباقي الأجناس ، فقد اختلط في هذه الحرب دم الأبرياء بدم الذبائح ، جراء ماخلفته هذه الحرب من نكبات وخاصة القارة الإفريقية التي كنت مطمعا لتناحر الدول الكبرى ، وهكذا ظل سنجور وغيره يحاضرون ويدافعون عن الزنوجة حتى آخر رمق من حياتهم. فكان الشعر عندهم مقاومة، ثورة ، تمردا وتعلقا بأرضهم الأم .

---

[1]- المرجع السابق .ص60

2- المسرحية : يعتبر المسرح أبا الفنون وقد صدق من قال أعطني مسرحا وخبزا أعطيك شعبا عظيما ، في ظل الضغط الذي عاشه الأفارقة نتيجة الاستعمار استعانوا بهذا النوع من الفن لإيصال رسائلهم للمجتمع بطرق رمزية كي لايتفطن المستعمر إلى مايوحي به الشعب إلى بعضه البعض ، وقد حاول المسرح الإفريقي الزنجي أن تكون له وظائف تضيء طريق وحياة الإفريقي ليستفيق من سباته سواء من حيث علاقته بالحياة أو بالطبيعة الكونية .

يقول علي شلش : " وقد حاول طراوريه أن يبحث الوظائف الإجتماعية للمسرح الإفريقي الزنجي فخصص لها فصلا في كتابه ،ويمكن إيجازها في ثلاث وظائف رئيسية هي : - المسرح مرآة للحياة متصلة بالحياة الكونية ،– المسرح أداة للمحافظة على تقاليد الجماعة وقيمها ، - المسرح أداة تعليم وتثقيف ." [1]

ومن المسرحيات المشهورة آنذاك مسرحية " الساحرة 1957" لفرانسو جوزيف خريج مدرسة وليام بونتي ، وكذلك مسرحية " الموت وسائس خيول الملك " لمؤلفها شوينكا ، وغيرهما من المسرحيات الأخرى.

3- الرواية: لم تنل الرواية المكانة التي حظي بها الشعر والمسرح في الأدب الإفريقي لأنها فن دخيل ، وإن وجدت لم تستوف الشروط التي كانت عليها الرواية في أوروبا غير أنها ساهمت في إيذاع الصوت الإفريقي ، ورسم الشخصية الإفريقية بكل أبعادها فألبسوها طابع البيئة ، واللغة الإفريقية،وأدوات أخرى توحي بالبعد الحضاري للقارة

---

[1]- المرجع السابق .ص90

السمراء، وهنا استطاع الأفارقة أن يجعلوا من الرواية فنا مستساغا لأفكارهم وآرائهم

يقول علي شلش:" فالرواية بطبيعتها تؤسس أرضا ذات اتصال واستجابة شخصيين وتفعل ذلك إلى حد ما بصورة ملموسة وقد قامت في إفريقيا بتكملة الرؤيا الفنية للعالم ، بل أدمجت في هذه الرؤيا بمعنى أكبر وأهم جماليات التقاليد الشفهية التي تنتمي إليها على الإطلاق ، ونتج عن هذا المفهوم الأوروبي لها بعد أن طوره التفسير الإفريقي المحلي مايسمى اليوم باسم الرواية الإفريقية ، وكان وتطورها عن طريق الممارسة ابتداء من التعبير المباشر المسطح الفج إلى التجربة المتقنة ." [1]

استطاع الكتاب الأفارقة أن يتعاملوا مع هذا الفن الجديد عليهم فألبسوه لباسهم وصبوا أفكارهم ليعبروا عن واقعهم حتى نالت الرواية مكانتها ، واستقام حالها ، وأصبحت الرواية الإفريقية رواية ذات قواعد تميزها نالت بها مكانتها العالمية.

ومن أهم الروايات التي ظهرا آنذاك رواية إرادات مالك ثلاث les trois volontés de malic ، لـ أحمد ماباتيه دياني .سنة 1920 ، وفي سنة 1925 ظهرت رواية أخرى المنبوذة لـ ماسيلا ديوب .

وقد ساعدت الأجناس الثلاث في التعريف بالتراث والحضارة الإفريقية المندسة بين الأدغال ، والتي تعكس حقيقة الجنس الزنجي ، الذي يعتبر سندا في بناء الحضارة الإنسانية ولايزال ،وهي رسالة إلى الآخر ليدرك حقيقة هذا الكنز المهمش والذي بدونه لا ينهض المجتمع فكيف يؤخذ ماتحت الأرض من خيرات ، في حين يُهَمّش من فوقها .

---

[1]- المرجع السابق .ص 126

المطلب الثاني

الزنجية في الثقافة الغربية والأمريكية

1 - الزنجية في الثقافة الغربية

2- الزنجية في الثقافة الأمريكية

01-الزنجية في الثقافة الغربية: إن الدارس لتاريخ البشرية يرى أن الرق أو العبودية هي أبشع الصور الإنسانية وهذا الصنيع المشين لم يكن من صنع الانسان الذي وُصف بالتوحش والتخلف وإنما من صنع من يدعي الحضارة والإنسانية حتى أن المجتمعات البدائية لم تشهد مثل الاجرام الذي شهدته القارة الإفريقية.

القارة التي عرفت أطماعا أوروبية منذ القرن الخامس عشر ميلادي والتي تمثلت في استعباد الإفريقي ، ومن أخطر مراحله المرحلة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر ،وقد شهدت القارة هذه الممارسات على أنها موطن الزنوج الذي يمتد من مصب نهر السنغال إلى الحدود الشرقية لنيجيريا،ويضم كل من
السنغال،غامبيا،غانا،وسيراليون،ليبيريا،ساحل العاج وساحل الذهب ،ودهومي ونيجيريا ،فهذه المناطق كانت محل تنافس من الأوروبيين لتجارة الرق ،واستغلال خيرات القارة السمراء،ومن الدول الأوروبية التي كانت السباقة في ممارسة هذه التجارة البرتغال واسبانيا وذلك بامتلاك ذوي الأصول الإفريقية

،ومعاملاتهم بطريقة جد سيئة ، وهذا تلبية لحاجيات اليد العاملة هناك، يقول سلامني ع القادر:"في سنة 1441 م قام القائد البرتغالي قونزلاس (Gonzales)بالقبض على عدد من العبيد بمنطقة ساحل الذهب،وقام بأسرهم ،وتم إرسالهم إلى لشبونة وهذا ما شجع في تزايد الحملات الأوروبية على إفريقيا من خلال خروج حوالي 37سفينة قصد التوغل على حساب الساحل الغربي الإفريقي"[1]

[1]- سلامني ع القادر،رسالة دكتوراه ، الاستعمار وظاهرة الرق في إفريقيا الغربية جامعة وهران 2016/2015 ص106

إن المركزية الغربية جعلت من الزنوج أكثر بشاعة ،فأخرجتهم من دائرة الإنسانية وصورتهم بصور لا يقبلها العقل ولا المنطق.

يقول عبدالله ابراهيم"تختزل صورة الإفريقي في خطاب الثقافة الغربية المتمركزة حول ذاتها على نحو أكثر بشاعة من صورة الهندي "[1]

إن النظرة الهشة التي يرى بها الغرب الآخر جعلته يحكم أحكاما مسبقة من شأنها الاستعباد ،والتهميش ، الأمر الذي دفع الزنوج للتحرك ،والرد بكل ما استطاعوا من قوة لتفنيد ،وإبطال الزعمات الغربية، واعْتُبر الأدب الزنجي مثالا لخطاب الهامش، لأنه لا يمثل الأسود فقط ،وإنما يتسع ليشمل كل من تعرض للاستعمار ، ويعتبر فرانزفانون من الذين مثّلوا هذا الاتجاه ، وقد منحه بعدا جديدا، وحرك عجلته من خلال كتاباته، وكان من المفكرين الذين ساهموا في بناء خطاب الهامش الذي يدعو المركزية الغربية للعدول عن النظرة الدونية وأن الزنوج كيان بشري ،واللون لايعتبر مقياسا للبشر، وهذا ما يتجلى في جل مؤلفاته وخاصة بعد احتكاكه بالثورة الجزائرية.

حيث يقول :"إن الاستعمار من حيث هو نفي منظم للآخر ،من حيث هو قرار صارم بإنكار كل صفة إنسانية على الآخر يحمل الشعب المستعمَر أن يتساءل دائما هذا التساؤل من أنا في الواقع "[2]

---

[1]-عبدالله ابراهيم،المركزية الغربية اشكالية التكون والتمركزحول الذات ،المكز الثقافي العربي ط1 1997 ،ص258

[2]- فرنز فانون،معذبوالأرض،ت سامي الدروبي وجمال الاتاسي ،مدارات للأبحاث والنشرمصر، ط 1، 2014 ص200

فالاستعمار يعمل وفق مخطط يهدف إلى التشكيك حتى في الهوية مما دفع فرانز فانون إلى كشف هذه المعاملات التي مارسها المستعمر بغية إنكار الذات ، وزرع روح اليأس والقنوط في نفسية المستعمَر ،أو الآخر ليرى نفسه غير قادر على الاستقلالية ولايتحرك إلا بأوامر فوقية تكرس الاستعباد والتبعية وهذا ما ركّز عليه الغرب في سياسته تجاه إفريقيا ومن ثمة باقي المستعمرات وقد حذت باقي الدول الأوروبية كفرنسا وانجلترا والدنيمارك والسويد وألمانيا حذو البرتغال وإسبانيا ، فتاجروا في العبيد وتنافسوا فيما بينهم للاستحواذ على النصيب الأكبر .

وفي هذا الصدد يقول عبد السلام الترمانيني :" وكان كل مركز من المراكز التجارية ينقل صيده من الزنوج إلى موانئ بلاده ، لم تلبث أن أضحت مرسيليا ونانت وبريستول وليفربول ، بالإضافة إلى إشبيلية ولشبونة مستودعات لتجميع الرقيق الإفريقي ، استعدادا لنقله إلى المستعمرات الأمريكية ." [1]

إن المعاملة التي حظي بها الزنزج من قبل هذه الدول دلالة واضحة على ردة فعل الزنجي القوية ، التي راح من خلالها يفتخر بزنجيته ويتحدى القيود التي كبلته مطالبا بحقوقه كاملة في أرض بُنيت على كاهل أجداده ، فهو يرى نفسه صاحب الحق المسلوب شعاره في ذلك الوطن لمن بناه ، متسلحا بسلاح من همشوه والمتثل في شعارات الديمقراطية والعدل والمساواة.

---

[1]- عبد السلام الترمانيني . الرق ماضيه وحاضره . عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت . العدد 23 .1979 .ص144

وقد صور الدكتور عبد الله ابراهيم حالة الزنجي في أوروبا وما آلت إليه من سوء بقوله :" وهنا ظهرت نزعة التمركز العرقي التي قامت بترتيب مختلف العائلة البشرية في نظام تصاعدي للحضارة ، يحتل فيها الإفريقيون الزنوج أدنى مراتب السلم ، بينما يحتل الأوروبيون البيض أعلى هذه المراتب... وقد أسندت هذه النظرية إلى الزنوج بالذات درجة من العقم الثقافي ." [1]

فالغربي نظرته يسودها الشك في إدراج الزنوج من البشر وبالتالي جعله في أدنى ترتيب ، إن العنصرية والتحقير أسلوب ماكر اتُّخِذ ضد الزنجي ، ليشعر بهذا الفارق ، ولم تفرق الحضارة الغربية المنشودة بين الرجل والمرأة شأنها في ذلك القتل والتشريد والحقد والكراهية ، فهي حضارة مادية تفتقر للقيم الإنسانية .

ويقول أيضا الدكتور عبد السلام الترمانيني :" أما النساء فكنّ يقفن في صفوف ويتقدم النخاسون فيمسون ويجسون بأيديهم أجسادهن بصورة مهينة ، ومن تعارض منهن تقرع بالسياط ." [2]

إن الإفريقي بصفة عامة والزنجي خاصة يدرك حقيقة الغرب وما قدمه لقارته من إهانة مقيتة لم تستثن فيها حتى الحرائر ،هؤلاء الذين كانوا ولا يزالوا يسعون لتحرير المرأة وتخليصها من عبودية الرجل ، نقول لهم التاريخ سجل جرائمكم ، وسمومكم المبثوثة هنا وهناك ، فكل هذا يشهد عليكم ، وبالجملة على الحضارة الغربية المزيفة.

---

(1)- عبد الله ابراهيم . اشكالية التكون والتمركز حول الذات . ص261

(2)- عبد السلام الترمنيني . الرق ماضيه وحاضره . ص144

إن المركزية الغربية مجدت الذات والاستعلاء على الآخر ،وذلك بتفكيك وتحليل العلاقة المتبادلة بين التحولات الاجتماعية والقيمية ،وهذا بتنامي العوائق الثقافية التي تزرع التباعد والعنصرية ، وإثارة النزعة العرقية.

يقول عامر عبد الزيد الوائلي :" هناك مرتكزات عرقية تقول بوجود طبائع محددة تقف سببا وراء الحضارة الغربية ، بل وتقيم من خلالها نظاما تراتبيا للشعوب والثقافات ، يحدد تاريخها ونظرة الأوروبي إليها كما يفسر حظها واستحقاقها من الحضور والفعل الانساني ، إذ تتجلى نزعة تمركز الغربي في رغبة الذاتية الأوروبية في الهيمنة على الآخر وتصنيفه من ضمن قوالب وصور أبدية ، مثل الهندي الأحمر ، الزنجي الإفريقي ، الشرقي المتخلف

والحال إن فكرة التفاوت أصبحت فلسفة لها بعد اجتماعي وسلوكي أدت إلى انقسام عميق في الفكر الإنساني ." [1]

إثارة مثل هذه النزعات تؤدي لا محالة إلى التفكك وعدم التكامل ، وهذا ما عايشه العالم وما يعيشه جراء زرع الفتن وإحياء النعرات المتعلقة باللون والشكل والسلوك ، هذا كله جرّ الإنسانية للعيش على وتر أنغامه الحروب والعداء والترصد ، وعليه أصبح الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان .

---

[1]- عامر عبد زيد الوائلي ، صورة الآخر الحضري نقد الاستعلاء في المركزية الغربية ، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت 2008.ص154-155

ب – الزنجية في الثقافة الأمريكية : تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية إحدى القوى العظمى في العالم استنادا إلى اقتصادها ونفوذها السياسي ، وهي أيضا مركز الابتكار والريادة مما ساهم في نموها الثقافي ، وتعد أكثر الدول تنوعا في العالم من حيث تقسيمها العرقي لأن غالية سكانها ينتمون إلى مجموعات متنوعة من الخلفيات العرقية ، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم وعلى رأسها الزنوج .

التحدث عن الزنوج في الثقافة الأمريكية ، نعني به الأمريكيين من أصول إفريقية يعيشون بين الأمركيتين ، ويعود أصل معظم هؤلاء إلى أفارقة تم استجلابهم واستعبادهم ومن إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، من قبل البيض ، وذلك قصد القيام بالنشاطات الزراعية ، وقد بُنِيّت النظرة الأمريكية على الفروق في العادات والتقاليد واللون وطريقة العيش ، من هنا تأسست العنصرية المقيتة وألقت بظلالها على المجتمع الأمريكي وسلطت هذه الأضواء على الزنجي ، لأن الأفارقة الأوائل الذين استُقدِموا إلى أمريكا قصرا قد ذاقوا مرارة العنصرية وذل العبودية ، وحرموا من أبسط حقوقهم ، واستمرت هذه المعاناة بتسلط الأبيض حتى القرن العشرين.

يقول وليم إ بورجهارت ديبويس :" فبعد المصري والهندي ، وبعد الإغريقي والروماني وبعد التنتوني والماغولي يأتي الزنجي كأنه الإبن السابع الذي ولد وحوله حجاب، وحصل على النظرة الثانية في هذا العالم الأمريكي ."[1]

---

[1]- وليم إ بورجهارت ديبويس ، روح الشعب الأسود ، ت أسعد حليم ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1، 2002 .ص34

ديبويس أفرو أمريكي ، يدرك حقيقة العنصرية التي يحياها الزنجي الأمريكي فهذه التراتبية غيرت مجرى حياة المجتمع الأمريكي الذي أصبح يئن تحت وطأة الشكل مهملا الجوهر الذي هو حقيقة الذات البشرية ، ودافعا من دافع البناء والتطور .

وأيضا يريد ديبويس أن يعيد للزنجي مكانته ، وأن أمريكا وطنه ، فيقول :" ... إن للدم الزنجي رسالة إلى العالم وكل مايرغب فيه هو أن يكون في وسع الإنسان أن يكون زنجيا وأمريكيا ، بدون أن يتلقى اللعنات والبصقات من جانب أترابه ، وبدون إغلاق الفرص في وجهه بخشونة ."[1]

الكاتب يحث أمريكا ومن ثمة العالم ككل أن الزنجي ماهو إلا مواطن أمريكي له الحق في العيش ، وبكرامة كباقي المواطنين الآخرين ، ومن خلال كلامه يتبين أيضا التهميش وسوء المعاملة ، والتمييز الذي كان يعاني منه الزنجي ، فهو يدعو إلى رفع الظلم والتسلط عليه ، ودفعه إلى الانطلاق نحو آفاق الحياة الرحبة ليعيش بآماله ، والتي ستثبت له بأنه مواطن يملك كل الحقوق كغيره من البشر .

وقد صور ديبويس أيضا معاناة الزنجي من جراء تصرفات الأبيض فيقول :" ... وأن يكون المرء فقيرا أمر شاق ، ولكن أن يكون الجنس فقيرا في بلاد الدولار هو أكثر الأمور مشقة ، لقد شعر بوزن جهله ليس فقط جهل الحروف ، بل جهله بالحياة ، وبالأعمال وبالإنسانيات ، لقد تراكم لديه الكسل والتراجع والشعور بالحرج نتيجة عقود وقرون ، كانت خلالها يداه وقدماه مكبلتين ، ولم يكن عبئه كله الفقر والجهل ، فالوصمة الحمراء المنغولة

---

[1]- المرجع السابق ،ص34

الناتجة عن قرنين من التدنيس القانوني المنظم للنساء الزنجيات ، أصبح وصمة لجنسه لايعني فقط فقْدُ الإحتشام الإفريقي القديم ، بل أيضا عبء الفساد الموروث من المعتدين البيض ، والذي يكاد يهدد بمحو البيت الزنجي ." [1]

فرضت الثقافة الأمريكية على الزنوج الأمريكيين نمطا من العيش يكتسيه الفقر والجهل بكل معانيه ، فقد فَقَدَ إنسانيته وأصبح يشعر بالحرج ، هذا كل ما أورثته الثقافة الأمريكية لأنها استعبدت آباءه وأجداده ، وأهانت الأمهات الزنجيات ، هدفها الأول والأخير القضاء على هذا الجنس ، واستعباده .

يقول عبد السلام الترمنيني :" لقد كان الهدف من استرقاق الزنوج الإفريقيين ، ونقلهم إلى أمريكا تسخيرهم للعمل في مناجم الذهب ،واستصلاح الأراضي ،و استثمارها بأنواع المحصولات الزراعية ." [2]

النظرة الأمريكية محصورة في الإهانة والإذلال لهذا الجنس فهي لاترى فيه سوى ذاك العبد الذي لايحسن إلا الشاق من الأعمال ،وخدمة الرجل الأبيض .

وقد انصب اهتمام الروائية الأمريكية توني موريسون في البحث عن أثر اللون الأسود أو الزنوج في بعض روايات التخييل الأمريكي ، لتكشف حقيقة النسق المضمر الذي تنضوي عليه هذه الثقافة في تصوير الآخر ، وكيفية تعاملهم مع الأيديولوجية العرقية

---

[1]- المرجع السابق، ص38

[2]- عبد السلام الترمنيني ، الرق ماضيه وحاضره ، ص147

تقول توني موريسون في هذا الصدد :" إن مشروعي نتاج البهجة وليس خيبة الأمل إنه نتاج ماأعرفه عن طرق الكُتَّاب في تحويل مظاهر خلفيتهم الاجتماعية إلى مظاهر اللغة ، والطرق التي يروون بها قصصا أخرى ، ويخوضون بها غمار الحروب السرية ويخططون بها كل ضروب الجدل المُدَثّرة في نصوصهم ، إن مشروعي نتاج يقيني بأن الكُتَّاب واعون بما يقومون به ." [1]

استطاعت توني موريسون أن تكشف دور الكُتَّاب البيض في تزييف الحقيقة ، والسموم التي بثوها في المجتمع فحاولت التصدي لهم ، لكي لايجعلوا من اللغة وسيلة لخدمة الخلفية الاجتماعية التي انطلقوا منها ، واعتبرته عامل هدم ومحل سخرية من الآخرين وخاصة الزنجي ، وبالرغم من أنها أمريكية زنجية من أصول إفريقية إلا أنها تسعى ليكون الأدب رسالة خير للوطن والمواطن الأمريكي دون تمييز ، وذلك بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يثير الخلاف بين أبناء الوطن الواحد.

وتؤكد أيضا أن السمات المهيمنة في الأدب الأمريكي القومي هي الفردية والذكورية ، والالتزام الاجتماعي مقابل العزلة التاريخية ، واعتبرت أن الجانب العرقي والضعف الأخلاقي ماهو إلا خداع في الأسلوب الذي اعتمده هذا الأدب ،و تدعو إلى تقنين وتقييد الأدب ليصبح رسالة اجتماعية قادرة على تأدية الوظيفة التي يطمح إليها المثقف الأمريكي من أجل بناء صرح أدبي بعيد عن العرق مشيدا بالأفكار والإنجازات ، وهذا كله حسب قولها يعمل على نعومة النقد الأدبي .... [2]

---

[1]- توني موريسون ، صورة الآخر في الخيال الأدبي ، ت محمد مشبال ، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، فاس ،ط1 ،2009، ص38

[2]- انظر المرجع نفسه، ص38-39-42

وتقر الكاتبة أن الكتابات التي تهتم بقضايا العرق تفتقد الموضوعية ، وضربت لنا مثلا حول تقصي أحد الباحثين الأمريكيين المهتم بقضايا العرق في أعمال إدغار ألان بو شاعر وناقد أدبي أمريكي في مقالة صغيرة تتباهى باتزانها العرقي الواضح ، فيقول :" على الرغم من أنه ترعرع في الأغلب الأعم بالجنوب ،وأنفق بعض أخصب سنواته في رشموند بالتيمور فإنه لم يكن يملك مايقوله حول الزنجي DARKY سوى النزر القليل ." [1]

من المفترض أن يكون إنتاج الأديب يوحد ويخدم المجتمع ، ويصور الآلام ويرسم الآمال إلا أننا نجد في الثقافة الأمريكية أدباء ونقاد يرصدون العيوب ،ويقيدون الهفوات فأدبهم قمع للأفكار وقتل للمواهب ، توني موريسون هذه الشخصية الناقدة والمبدعة تصور لنا الألم والحسرة التي تنتابها نتيجة ما آل إليه الأدب الأمريكي ، الذي أصبح يعبر عن نزوات وخلفيات جعلته شفافا لا مضمون له حيث تقول :" إن ما أصبح شفافا هو الطرق البدهية التي اختارها الأمريكيون للحديث عن أنفسهم من خلال تمثيل للحضور الأفريقاني المجازي ، وأحيانا يكون استعاريا، ولكنه دائما وأبدا مقهور."[2]

الأدب الأمريكي أفرط في وصف الزنجي ، ولكن بالقهر والتغييب وإسدال ستار العبودية من أجل هيمنة الأبيض وبقائه الآمر الناهي ، لأنه يرى الزنجي دخيلا لاينبغي له المشاركة في بناء أمريكا .

---

(1)- المرجع السابق ،ص42

(2)- المرجع نفسه، ص48

وقد استحضرت موريسون بعض الأعمال الروائية ، مثل "سافيرة والآمة " لـ ويلا كاثر وبينت موقف النقاد الأمريكيين منها ، وتطرقت كذلك إلى موقف إرنست هيمنغواي من السود أو الزنوج وكيف تعامل معهم في رواية " أن تملك وألا تملك" .

وعلى هذا يمكننا القول أن الزنجي بشخصيته وبكتاباته الراقية استطاع أن يرسم لنفسه طريقا وسط هذا الزخم من العنصرية ، وأصبح يجاري الأبيض في كل المجالات ، فنجد منهم الكاتب والناقد والوزير والرئيس ، وصدق فرانز فانون حين افتخر بزنجيته ،وراح يتحدى كل من يقلل من شأن الزنوج فيقول :" زنجي ليس باسمي ولا لقبي ، وأقل من ذلك بكثير جوهري وهويتي ، أنا شخص بشري وكفى ، يمكن للآخر أن ينافسني في هذا لكنه لايستطيع أبدا تجريدي منه انتولوجيا ."[1]

فهو يفاخر ويعتز بانتمائه الزنجي لأن اللون ليس هو أساس الوجود ، فالوجود هو الجوهر والهوية، فلابد أن نفرق بين الشكل والجوهر ، فالإبداع هو أساس فرض الوجود الذي ينبغي أن يتفاوت ويتنافس فيه البشر ، وهذا كاف إلى حد بعيد.

---

[1]- أشيل مبيمبي ، نقد العقل الزنجي ، ص73

المبحث الثاني

دلالة غياب الشخصية و حضورها في رواية

"أن تملك وألا تملك "

لـ :إرنست هيمنعواي

المطلب الأول

غياب الشخصية أو تغييبها في الرواية

1 / تغييب الزنجي في الرواية بصمته والكلام مكانه

2/ تحقير الزنجي ووصفه بألفاظ دونية

تمهيد : عند دراستنا لأي رواية فإننا نتناولها من عدة جوانب

الزمن بكل مفارقاته ، والمكان ، والأحداث... ومن أهم هذه العناصر هو الشخصية التي تعيش هذه الأحداث وتصنعها.

ولعل أول مايجلبنا إلى الشخصية هو الاسم الممنوح لها ، لأنه لا يأتي عفويا عند الروائيين بل يكون مقصودا والروائي يهتم بالأسماء لتكون منسجمة مع الرواية ،لها إيحاءات ودلالات .

وعندما نأتي إلى الرواية التي بين أيدينا نجد الكاتب قد أعطى اسماء لشخصياته ، إلا أننا نلاحظ ملاحظة بارزة ، وكأنها مقصودة ، وهي أن أحد هذه الشخصيات تناوله بطريقة غير معهودة حيث اكتفى بوصفها زمنا طويلا وعند تسميتها نجد لذلك دلالات أخرى.

1- تغييب الزنجي في الرواية بصمته و الكلام مكانه:عند قراءتنا لمستهل الرواية نجد الكاتب يعرض شخصياته ، وأحيانا يصفها ، بل ويُطنب في وصفها ، أو على الأقل يسند الأدوار إلى أسماء معلومة ، لكننا ننتبه إلى الشخصيات التي رددها كثيرا غير أنه تركها بلا اسم ، بل اكتفى بإطلاق لفظ زنجي عليها وهذا التغييب الواضح للاسم يبدو جليا حيث أنه كلما أسند له دورا اكتفى بهذا الوصف العنصري ، فأول ماقدمه كان في قوله :" أطل الزنجي الذي يحمل البندقية الآلية بوجهه إلى الشارع ، وأطلق صلبه إلى مؤخرة العربة من الأسفل وقد سقط أحدهما دون ريب نحو الرصيف ، بينما كان الزنجي يضع مخزنا جديدا لبندقيته "[1]

ثم يواصل الكاتب سرد الأحداث على لسان القبطان ، فيدخل شخصية أخرى وهي شخصية رجل يحمل سلاحه أيضا لكنه منحه اسما هو بانشو فيقول :" ورأيت بانشو يدور من حول زاوية العربة ، ويحتمي بالحصان ...."[2] ويواصل إلى أن يقول :" وقد أطلق طلقتين من فوق رأس الزنجي المتقدمة وثالثة منخفضة."[3]

ويواصل الراوي سرد الأحداث بين بانشو وهذا الإفريقي وفي كل مرة يطلق على هذا الإفريقي مجرد (زنجي) ، مثل قوله :" وقد أصابه الزنجي من مسافة عشرة أقدام بما كان ربما آخر رصاصة في بندقيته .:" [4]

---

(1) – ارنست هيمنغواي ، أن تملك وألا تملك ، ت توفيق الأزدي ، مؤسسة المدى ، ط1 ، 2014 ص11
(2) – المصدر نفسه ، ص11
(3) – المصدر نفسه ، ص11
(4) – المصدر نفسه ، ص12

إن القارئ يتوقع أن تكون هذه الشخصية مجرّد شخصية عابرة – وطبعا هذا لايجعل لقب الزنجي بريئا – أو ربما يتوقع أن يكون مجرد تمهيد فقط ، لكن هذا التغييب للاسم يتواصل معنا طويلا ، فنجده ينتقل إلى مشهد آخر وشخصيات أخرى بأسمائها طبعا ، بل ويصرّ على ذكر الأسماء فيورد في المقطع التالي :" كان الشخص الذي استأجر القارب ينتظرني فوقه حكيت له ما حدث.

سألني هذا الشخص الذي استأجرناه واسمه جونسون :- أين إيدي؟

- لم أره بعد أن بدأ إطلاق النار
- هل تعتقد أنه أصيب ؟ - لا. ثم رفعت رأسي لأرى إيدي قادما يسير على امتداد الرصيف .- هاه هو..." [1] ويتواصل السرد والحوار بين القبطان والسيد جونسون وإيدي :" سألني وهو يفتح الصندوق : هل تريد زجاجة بيرة؟ - لا شكرا

في ذلك الحين بالضبط وصل الزنجي الذي كان يجلب الطُّعُوم إلى الرصيف وقلت لإيدي أن يستعد للإنطلاق .

صعد الزنجي إلى ظهر القارب مع الطعوم .... إنه بالفعل زنجي أسود ماهر كئيب ... "[2]

---

(1) – المصدر السابق ص13
(2) – المصدر السابق ص14

ويتواصل هذا التغييب لاسم الرجل الإفريقي معنا طويلا ، وفي هذا تجسيد لواحد من أهم سمات الأدب الكولونيالي الذي يعتبر الغربي هو المركز ، والآخر هامشي بالنسبة له. بالإضافة إلى لمسة الاستعلاء المباشر، وغير المباشر مرة أخرى.

عندما نواصل تأمل هذا الحوار بين القبطان وجونسون "سألني جونسون – ألا تستطيع أن تضع الطُّعم هكذا ياقبطان ؟ - نعم ياسيدي (والأرجح قوله بلى) – ولماذا هذا الزنجي إذن .؟"[1]

فهذا السؤال الاستنكاري يلبس ثوب الاستعلاء الغربي ، والتحقير لهذا الزنجي ، ويتواصل هذا التغييب في المراحل التالية

"اعطيت الزنجي المقود "[2]

" كان الزنجي لايزال يقود القارب" [3]" بين الحين والآخر كان الزنجي يغفو"[4] "ثم صرخت بالزنجي" [5]

ويستثمر تغييب الاسم رغم الأدوار المتوالية التي كان يسندها الكاتب لهذا الزنجي إلى غاية الصفحة الحادية والسبعين 71

---

(1) المصدر السابق ص16
(2) المصدر السابق ص16
(3) المصدر السابق ص16
(4) المصدر السابق ص18
(5) المصدر السابق ص18

ولكن هذا الإحضار في هذا الوقت لم يكن اعترافا بوجود الآخر ولا اعترافا بمكانته ، لأننا عندما نتأمل التوقيت ندرك أن الكاتب كان مضطرا لذلك من جهة ، ولقصد غير بريء سنتناوله عند الحديث عن دلالة الحضور لاحقا .

أما اضطراره فقد كان بسبب رغبة الكاتب في التخلص من تناقض قد يُغَيّب جانبا فنيا هاما في الرواية ، لأنه إذ قرّر منحه اسما أراد إبراز نبل ورفعة أخلاق القبطان الذي كان يحاور "ويزلي" الرجل "الزنجي".

بالإضافة إلى تجاهل الاسم نجد نمطا آخر من التغييب ، وذلك بحرمانه من الكلام أو الحوار أوالرد ، فنرى الراوي يسرد لنا الأحداث التي يمثل الزنجي ويزكي مساحة معتبرة منها ، لكنه لا يمنحه فرصة الكلام ، فلو استعرضنا المقاطع السابقة الذكر نجدها كلها تكتفي بالكلام عن الزنجي وكأنه غائب ، وكذلك كثير من المقاطع التي سنعرضها الآن مثل قوله:" ثم صرخت بالزنجي ادفع بالقارب إلى الأمام .."[1]

لكننا لانسمع صوتا لويزلي وفي قول الكاتب :" كنت لا أزال منزعجا من مشاهدة تلك السمكة وأحس بالقرف بسبب ضياع العدة فلم أستطع الاستماع إليهما ، قلت للزنجي ،أن يتوجه بالقارب إلى المورو."[2]

---

(1) – المصدر السابق ص 20
(2) – المصدر السابق ص21

ومرة أخرى لاتسمع صوتا لويزلي الزنجي وكأنه غير موجود وكأنه لاشيء ... ويتكرر صمت ويزلي في كثير من المشاهد التي يقحمه الكاتب فيها.

ولا نراه يرفع عنه قيود الصمت إلا في حالتين ، وحتى في هاتين الحالتين كان الغرض من كلامه للانتقاص منه لاغير ، (وسنبرز ذلك في قسم دلالة الحضور لاحقا) أي أنه لم يكن ما بريئا ، ولا عفويا.

ومن مظاهر الصمت الغريبة ، ذلك الصمت المطول الذي نلاحظه بين الربّان ومساعده ،فالعادي والطبيعي أن يدور الكلام بينهما مهما كانت العلاقة التي تربطها ،ولكننا لا نجد إلا الصمت وهذا يدفعنا التساؤل عن هذا التهميش المقصود ، فهل يعقل أن يتفاهم القبطان ومساعده بالصمت.؟

بل إننا نجده يتجاهل كلامه حتى في أهم المواقف التي يفترض به الكلام فيها فالطبيعي أن يكون البحار المتقدم والمتواجد في أعلى السفينة ومقدمتها هو أول من يرى العلامة وهي السمك الذي يطفو خلف مقدمة السفينة ، لكن برؤية كولونيالية استعلائية كيف يمكن لهذا النكرة الصامت طول الوقت الذي لايملك اسما حتى الآن أن يأخذ المبادرة، بل ينبغي للسيد الأبيض ذي الرؤية الثاقبة مهما كان مكان تواجده لذلك نجد الكاتب يفرض مرة ذلك الصمت على ويزلي ويتجاوز ذلك بطريقة غير مبررة.

وعندما نواصل سبر أغوار هذا التغييب الصامت نلتقي بحرمانه القارئ حتى من معرفة ماقاله ويزلي الزنجي حتى نال العقاب الشديد ، أثناء تذكر ماري لذكرياتها مع القبطان الراحل هاري مورغان.

فبعد أن نسبت الفأل السيء للكوبيين دون أدنى دليل تقحم الزنوج في كلامها بطريقة غريبة غير مبررة لتحكي حكاية تقصّدها الكاتب فهي تقول ... الكوبيون يجلبون الفأل السيء لأي شخص ولديهم الكثير من الزنوج هناك أيضا ، أتذكر تلك المرة التي اصطحبني بها إلى هافانا حين كان يكسب الكثير من النقود ، وكنا نسير في منتزه وأسمعني زنجي شيئا فضربه هاري ، وأمسك بقبعته المصنوعة من القش التي سقطت عن رأسه، ورمى بها بعيدا ودهستها سيارة عابرة . لقد ضحكت كثيرا حتى أصبت بوجع في المعدة."[1]

فقد وجدت الزوجة الموجوعة وقتا لوصف كل شيء ، والكلام بإسهاب عن كل شيء عن رأيها بالكوبيين ، عن وصف زوجها الميت الذي كان يكسب الكثير من المال حتى القبعة وصفت لنا مظهر سقوطها ومادة صنعها من القش وهذا طبعا للإمعان في تحقير هذا الزنجي، وكيف أنها ضحكت كثيرا ن لكنها اعتمدت اختصارا عجيبا عندما أخبرتنا عن سبب ضرب هاري له فقط " أسمعني زنجي شيئا ما " ماذا أسمعها؟ بل وهل قال المسكين شيئا أصلا؟."[2]

---

(1) **المصدر السابق ص278**
(2) **المصدر السابق ص278**

ولاشك أن الكاتب هنا تقصد هذا التغييب حتى بذكر السبب ، وما يدعونا إلى اعتباره تغييبا مقصودا هو أنه يوغل بعدها مباشرة في وصف شعر ماري لدرجة مملة ،كما كان قد أوغل في وصف أشياء أخرى آنفا .

نفس الصمت فرضه عليه، عندما يقول عنه هاري بأنه لا يصلح لشيء.، قال هاري ياللجحيم حين يكون الزنجي مصابا لاينفع لشيء أنت زنجي حقيقي ياويزلي."(1)

فقد حرمه حق الرد ،وألجمه بالصمت مما ترك انطباعا بصحة هذا الإتهام ، وفي السياق ككل يوحي لنا بأن الزنجي لا يصلح إلا لتلك الأعمال الدونية وفقط إذا كان سليما.

---

(1) - المصدر السابق ص88

02- تحقير الزنجي ووصفه بألفاظ دونية :

ومع هذا التغييب نجد الكاتب يصف الآخر بألفاظ دونية بدل الأسماء ، وهذا طبعا يعكس وصف السيد الأبيض والغربي عموما بأرقى الصفات والخصال ، فلماذا يورد ذلك المشهد بتلك الطريقة المنفرة لضحية كان من المفترض أن تثير في القارئ التعاطف والاشفاق حين يقول :" كانت صورة مقربة لرأس وصدر زنجي ميت وقد ذُبِحَ من الوريد إلى الوريد ... ثم علقت على صدره بطاقة تقول هذا ما نفعله بأصحاب الألسنة الطويلة." (1)

فهناك توجيه للقارئ وكأن هذا الرجل يستحق ما حصل له، وهو عبرة لمن يعتبر. ونجده في موضع آخر يقول عنه :"... أعطاها إياه عامل البار الزنجي في الجاكيت الأبيض ، والذي له كرش كبير." (2) فبالإضافة إلى تغييب اسمه توصيفه في أقبح الصور .

والوصف بهذه الأوصاف لم يقتصر على الإفريقي فها هو الأسيوي ينال حظه منها ، حين يقول الكاتب :" قال إيدي : أيها الغرباء الصفر آكلي الجرذان، هيا انزلوا . قلت أغلق فمك أيها السكير." (3)

والكاتب هنا يضرب عصفورين بحجر واحد إذ وصف الآخر بأقبح النعوت.

---

(1) المصدر السابق ص43
(2) المصدر السابق ص 217
(3) المصدر السابق ص 61

ولكن على لسان إيدي ليتدخل الفاضل العادل المتحدث هاري وكأنه يعترض على كلامه ، لكنه مالبث أن فعل ، مثل إيدي في مشهد آخر ورد كما يلي :" قلت لإيدي يمكنك أن تنام الآن ، لا اذهب إلى الأسفل وافتح كل الأبواب حتى تخرج الرائحة العفنة واجلب لي المطهر...[1] ، فهولن يفتح النوافذ لأن ذلك السكير هناك ، بل لأن أولئك الصينيين كانوا هناك.

ويواصل في نفس المنوال إذ يصور الرجل الصيني وكأنه جرثومة سامة حين يقول على لسان هاري:" أمسكت عجلة القيادة بركبتي وفتحت قميصي ورأيت أين عضني السيد سينغ ووضعت عليها السائل المعطر ثم ثم جلست هناك أوجه السفينة وأتساءل إن كانت عضة الصيني سامة."[2]

كل هذه الأوصاف والمشاهد تهدف إلى تحقير الآخر من جهة وتكريس مبدأ الاستعلاء للغربي المتحضر المتميز من جهة ثانية.

---

(1)- المصدر السابق ص61

(2)- المصدر السابق ص 62

المطلب الثاني

دلالات حضور الشخصية الزنجية في الرواية

1/ دلالات حضور شخصية الزنجي

2/ تجسيد العبودية في ظل الحضور

01- دلالات حضور شخصية الزنجي :

بعد استعراضنا لبعض صور التغييب لشخصية الآخر وبالأخص الآخر الإفريقي ذلك الزنجي الذي يظل بلا اسم لمسافة ومدة طويلة . نستعرض الآن دلالات الحضور.

فبعد ذلك التغييب لشخصية الزنجي بحرمانه من الاسم والكلام في مواطن كثيرة ، نجده يتكرم عليه بالاسم ويمنحه شرف الحوار والكلام ليكون حاضرا في بعض المشاهد ، ولكن هذا الحضور كما سبق وأشرنا لم يكن خروجا عن الخط العام للرواية.

ففي أول حوار يشارك فيه غيّر الكاتب طريقة السرد فبعد أن جعل القبطان هو المتحدث في الجزء الأول ، هاهو في الفصل الأول من الجزء الثاني يستعيد الكاتب الحكي ويروي الأحداث بنفسه. :" ارتفعت الشمس رأى ناقلة بيضاء تدخل الخليج ووقفت هناك عالية وبيضاء والشمس تنعكس عليها في ذلك الهواء البارد فبدت كأبنية بيضاء عالية تبرز من البحر وقال للزنجي أين نحن بحق الجحيم؟ لا شيء كهذا على هذا الجانب من ميامي ، قال للزنجي أنت تعرف جيدا أننا لم ننجرف إلى ميامي – بنبرة ساخرة مستهزئة . كل ما أقوله إنه لاتوجد أبنية كهذه على شاطئ فلوريدا كيز. كنا نوجهه إلى ساند كي - علينا أن نراه ، إذن هو أو المياه الأمريكية الضحلة ثم رأى خلال برهة قصيرة أن تلك كانت ناقلة نفط وليس أبنية.. "[1]

---

(1) - المصدر نفسه ص69

فعند اكمال هذا المشهد نستنتج أن الزنجي لم يفرق بين ناقلة بترول ضخمة ، وبين مدينة مثل ميامي ، فما هو التصور الذي يكونه القارئ على هذا الزنجي ،عند أول حوار مباشر يتكلم فيه .؟

ثم يواصل الكاتب كرمه مانحا الرجل الزنجي حق الكلام والحوار وحتى الاسم ، فما دلالة الحوارالذي سيكون طرفا فيه ، وباسمه هذه المرة.؟

سيكون حوارا طويلا جدا يبدأ فيه هاري الكلام (مباشرة بعد الحوار السابق)

- :" كيف هي ساقك؟ .

- توجعني طوال الوقت

- قال الرجل : إنها لا شيء أبقها نظيفة وملفوفة وسوف تشفى من تلقاء نفسها."[1]

وهذه المرة سيطيل الكاتب هذا الحوار إلا أنه لن يكون حوارا عاديا ، بل سيكون عبارة عن شكوى وتذمر من الرجل الزنجي ، بينما القبطان الفاضل صابر على شكواه وتذمره.

- "لقد أصبت بالرصاص لم يسبق لي أن أصبت من قبل

- أنت خائف فحسب .

---

(1) - المصدر نفسه ص 69-70

-لا سيدي .أنا مصاب بالرصاص ، وإني أتألم كثيرا ، كنت أرتجف طوال الليل.

- استمر الزنجي يدمدم ويتذمر على هذا المنوال ، ولم يكن قادرا على الامتناع على رفع الضمادة لينظر إلى الجرح . - قال الزنجي : أنا أتألم ألمي يزداد مع الوقت . - قال الرجل : آسف يا ويزلي ولكن علي أن أعود للقارب." [1]

بعد كل هذه الشكوى والتذمر يقابله بالحلم والرحمة ، وهذا هو الهدف من اشراكه في الحديث تصوير ضعفه وضيق أفقه واهتمامه بنفسه لا أكثر ، وبالمقابل هاري الفاضل النبيل ، بل إنه في خضم كل هذه الشكاوى المتهاطلة من الزنجي يناديه القبطان لأول مرة باسمه ، فيرتبط التعريف بالزنجي بهذه المفاهيم التي ستلتصق بذهن القارئ مباشرة وترتبط باسمه ، وأكثر من ذلك عندما ننهي الحوار يفاجئنا الكاتب بمفاجأة ستزيد من استصغار هذا الزنجي الشاكي المتذمر.

ويتواصل هذا الحوار قال الزنجي:" أنت تعامل البشر كأنهم كلاب

- كان قد بدأ يغضب الآن ، ولكن الرجل كان لايزال يشعر بالأسف تجاهه قال: سأجعلك تشعر بالراحة يا ويزلي اهدأ الآن ...

كان قد بدأ يثير أعصاب الرجل الآن، وكان الرجل قد بدأ يشعر بالتعب من سماعه الزنجي وهو يتذمر، سأله : مَن إصابته أسوأ بحق الجحيم ؟ أنت أم أنا ؟

- قال الزنجي : أنت إصابتك أسوأ." [1]

---

[1]- المصدر السابق 70-71

[2]- المصدر السابق ص 71-72

فهنا تقصد (تعمّد) الكاتب إطالة أفق الانتظار عند القارئ حتى يضاعف من خيبتنا بالزنجي ، فنكتشف أن القبطان أيضا كان مصابا ، بل إن إصابته كانت أسوأ .

ورغم ذلك لم يشك ،لم يتذمر ،لم يكن منهارا ففي وسط كل هذه الخيبة لم يعد للاسم معنى عند القارئ، بل كل الاهتمام سيتوجه نحو بطولة وعظمة القبطان ،الذي أكتفى هذه المرة بالإشارة إليه بكلمة الرجل ، أمام ضعف وانهزامية وأنانية الزنجي ويزلي .

وبعد هذا المشهد يعود الكاتب لإطلاق وصف الزنجي على ويزلي والاكتفاء به فقد حقق المراد بتقديم الزنجي باسمه مقترنا بالضعف والانهزامية ، ونعثر على المزيد من الاستحضارات للآخر في الرواية،

ولكنه استحضار سلبي في غالب الأحيان، ففي قوله :" كان الكوبيون يثرثرون بالإسبانية ." [1] فهو لم يقل يتحدثون أو يتكلمون أو يتحاورون ، بل اختار كلمة يثرثرون للدلالة على علو الغربي ، ولغته على الآخر أيّا كان .

ويواصل رمي الآخر بأبشع الاتهامات حين يقول :" الكوبيون هم الذين يحكمون كوبا ، وكل واحد فيهم يخون الآخر، وهم ينالون ما يستحقون " [2]

فجعلهم خونة لايستحقون حتى اعتبارهم أجانب فهم مجرد خونة يستحقون كل ماقد يحصل لهم .

---

[1]- المصدر نفسه159

[2]- المصدر نفسه 159

02- تجسيد العبودية في ظل الحضور : ومن بين مايمكننا اتنتاجه من ذكر الآخر في الرواية هو تجسيد العبودية للأسياد فمثلا يقول:" ثم صرخت بالزنجي ، ادفع بالقارب نحو الأمام..." [1]

وفي قول الكاتب :" وقد أمسكنا بأربع من سمك التونة الصغيرة ، وقد وضع الزنجي إحداها كطُعم ..."[2] . فهذا الزنجي مجرد مخلوق لخدمة سيده فعليه تحمل الصراخ ، والقيام بكل الأعباء والأعمال الخدماتية لأسياده.

بل إن الكاتب يقدم لنا الزنجي مقتنعا بهذه العبودية حين يقول هذا الزنجي:" ياسيد هاري يؤسفني أنّي لم أستطع مساعدتك بإنزال الحمولة "[3]

ليرد عليه السيد هاري بأنه زنجي حقيقي ، يقصد أنه لا يصلح إلا للخدمة والعبودية ، أما السيد الغربي فهو يمضي وقته في الصيد والمتعة .

بل إنه يتجاوز مرتبة العبودية بطريقة غير مباشرة ففي الحوار الذي دار بينهما يتابع الزنجي قائلا:" تقول لي هوّن عليك ، كيف أهوّن الموت على نفسي ككلب؟.."[4] بعد حوار طال بينهما يقول الراوي :" أصدر الزنجي صوتا كالنباح "[5] فالكلاب هي الخادمة لمن يملكها ، فالكل كان يصدر أصواتا في حال السكر أو العقل ، ولكنه فقط شبه صوت ويزلي بالكلب ، من أجل تجسيد مبدأ عبودية الزنجي للغربي السيد.

---

(1)- المصدر السابق ص 20

(2)- المصدر السابق ص 23
(3)- المصدر السابق ص 88
(4)- المصدر السابق ص 75
(5)- المصدر السابق ص 75

بعد استعراضنا لشخصية الآخر (الزنجي) في رواية أن تملك وألا تملك ، واستعراض مختلف أشكال تقديمها سواء بالتغييب أو الحضور في حالة الصمت أم الكلام ، نجدها تكرس كثيرا من خصائص الأدب الكولونيالي ، مثل المركز الذي يمثله السيد الأبيض الغربي صاحب الهيمنة والسيطرة والاستعلاء في المقابل الآخر المستضعف القاصر الهامشي ، المحتاج إلى من يرعاه ويحميه ، ويتجلى لنا التمييز العنصري المبني على العرق والجنس ، واللون والطبقة فالأول يمثله القبطان هاري مورغان أحسن تمثيل ، والثاني يمثله الزنجي الأسود ذي الأصول الإفريقية ويزلي، فيموت القبطان بطلا ويتجاهل الكاتب مصير الزنجي في الأخير.

---

(1)- المصدر السابق ص

(2)- المصدر السابق ص75

(3)- المصدر السابق ص 75

الـخا تـمـة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة الطويلة من البحث والاطلاع والتعامل مع خير جليس في الأنام تبين أن البحث مفتاح العلم والمعرفة ، وأنه متعة ولذة الحياة ، به تصفحنا عقول الآخرين وسبرنا أغوار التاريخ لنتعرف على ماضي أمّة ننتسب إليها والنّكبات التي عاشتها جرّاء مافعلته القوى الإمبريالية التي أتت على الأخضر واليابس ، وقد انكشف أمرهم من خلال أدبهم الذي يطلق عليه الأدب الكولونيالي .

إن الكولونيالية تعمل وفق أهداف استراتيجية مسطرة ، تسعى من خلالها إلى فصل الشعوب المستعمَرة عن تاريخها بعملية محوٍ للذاكرة ، وذلك من خلال فن الخطاب الذي كرّس العنصرية والعبودية ، جاعلا من الثقافة وسيلة للتغييب والإقصاء ، وهذا باستحضار التاريخ الكولونيالي في الرواية ، و مثال ذلك رواية أن تملك وألاّ تملك لـ إرنست هيمنغواي التي كشفت تاريخ القوة الإمبراطورية الذي يعمل على إسكات صوت الآخر وتجريده من الإنسانية وتحويله إلى موضوعٍ للاستغلال ، وهذا ما يمثله الزنجي في هذه الرواية .

ومن خلال ذلك يمكننا الوقوف على النتائج الآتية :

- الخطاب الكولونيالي يقع في مفارقة خطابية لسياقه، لأنه يتحدث عن المستعمَرين ويعيش على أرضهم مفندا من خلال هذه المفارقة الإدّعاءات الحضارية بتمدين الشعوب .

- النقد الثقافي استطاع ان يكشف الافتراضات الأيديولوجية الكامنة وراء الخطاب الكولونيالي ، ليخوض غمار المواجهة برؤية نقدية يسودها الحوار من أجل إرغام الأنا الغربي بصناعة ثقافة الاعتراف بالآخر الشرقي .
- أدب ما بعد الكولونيالية يعمل على فرض الاختلاف الثقافي بدلا عن الاختلاف العرقي ،لبناء جسر للتواصل بين الثقافات .
- الأدب الكولونيالي سلاح فتّاك ، استعمله الغرب ومازال كذلك من أجل التمكين لنفسه ، فهو أدب شاهد على العنصرية ونبذ الآخر ، مجسد للنرجسية والنظرة الاستعلائية .
- استطاع أدب ما بعد الكولونيالية أن يكشف المعاناة الحقيقية للزنوج ، ونقل همومهم ومشاكلهم للعالم ، وبالتالي تحريرهم من العبودية ، ومعالجة قضاياهم
- نستنتج أن الأدب يبقى دائما وأبدا المتنفس الذي من خلاله يستطيع الانسان الوصول إلى مبتغاه والتعبير عن كل مايعانيه.

وأخيرا يمكننا القول أن البحث في هذا الموضوع يبقى مفتوحا وما على أهل الاختصاص إلا الإثراء بأرائهم ، وأفكارهم لتحريك ودفع عجلة البحث في هذا المجال ،لأنه يعتبر ركيزة أساسية في الدراسات الأدبية ، لكونه يتمحور حول ثقافة الشعوب التي تصنع الهوية ، وتفرض الوجود .

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث ومراجعه

أ- المصادر:

1- ارنست هيمنغواي ، أن تملك وألا تملك ، ترجمة توفيق الأزدي ، مؤسسة المدى ، ط1 ، 2014

ب- المراجع

01- إدوارد سعيد ،المعرفة السلطة الإنشاء ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ط2 ، 1984.

02-أشيل مبيمبي ، نقد العقل الزنجي ، ترجمة طواهري الميلود ، دار الروافد الثقافية ناشرون،ط1 ، 2018.

03-آنية لومبا، نظرية الاستعمار ومابعد الاستعمار الأدبية ، ترجمة محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار سوريا ، ط1 ، 2007.

04-بنسالم حميش ، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشروق مصر ط1 ،2011.

05-توني موريسون، صورة الآخر في الخيال الأدبي، ترجمة محمد مشبال ، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة فاس ، ط1 ،2009.

06-دوجلاس روبنسون ، الترجمة والامبراطورية ، ترجمة ثائر ديب ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، ط1 ، 2005.

07-رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2012.

08-روبنسون كروزو، دانيال ديفو، ترجمة أسامة أسير، وزارة الثقافة دمشق،2007.

09- رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي القاهرة ، 2011.

10- سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط 1 ، 1985.
11- سمير خليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
12- السيد صالح سعد الدين، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام بيروت ط1 ، 2006.
13-طلعت عبد العزيز أبو العزم ، أدب مابعد الإستعمار ونظريته النقدية ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية،2018.
14-طيب صالح ، موسم الهجرة إلى الشمال ،دار جيل بيروت ، ط1 ، 1997.
15-عبد السلام الترمانيني ،الرق ماضيه وحاضره ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت ، العدد23 ، ص144.
16-عبد العزيز شعبان ، زيف الفضاء مابعد الكولونيالي ، العين الثالثة ، دار ميم للنشر الجزائر ، ط1 ، 2018.
17-عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1997.
18-عبد الودود يوسف (عالم جلال) ، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، دون دار نشر ، ط1 ، 2010.
19-علي شلش. ، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والأدب الكويت ، العدد112 ، 1993 .
20-فرانز فانون ،معذبو الأرض ، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي ، مدارات للأبحاث والنشر مصر،ط1 ،2014
21- قاسم السامرائي،الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع،ط1، 1983.
22-كرمة سامي ، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، المركز القومي للترجمة القاهرة ،ط1 ، 2010.
23- ماجدة حمّود،صورة الآخر في التراث العربي ،الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان ، ط 1 ، 2010 .
24-محمد إبراهيم الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1993.
25-محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر،دار الفكر العربي القاهرة،ط1 ، 1992.
26-محمود حمدي زقزوق ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف القاهرة ، 1998 .

27-مديحة عتيق ، فصول في الأدب المقارن ، دار ميم للنشر ،ط1 ،الجزائر ،2014
28-مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، دار العلم والمعرفة القاهرة ،ط1 ،2018 .
29-ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب ،ط3 ،. 2002 .
30-نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1 ،2003.
31-وليم إ بورجهارت ديبويس ، روح الشعب الأسود ، ترجمة أسعد حليم ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ،ط1 ،2002.
32-يحيى مراد ،ردود على شبهات المستشرقين ،فكر معاصر،2005.

ج- المعاجم والقواميس :

1- ابن منظور ، لسان العرب ج8 ، بولاق مصر
2- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ج1، مجمع اللغة العربية القاهرة.
3- أحمد رضا ، معجم متن اللغة ج3 ، دار مكتبة الحياة بيروت ،1959.
4- محمد مرتضى بن محمد الحسين الزبيدي، تاج العروس ج25، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

د- الرسائل والمجلات

01 - روضة ماجد عمايرة ، رسالة ماجستير الديمقراطية وحقوق الإنسان الأديب كقوة دافعة للتغيير ، جامعة بير زيت فلسطين ،2017.

02 - عامر عبد الزيد الوائلي ، صورة الآخر الحضري نقد الاستعلاء في المركزية الغربية ، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية بيروت ، 2008.

03- سلامني عبد القادر، رسالة دكتوراه ، الاستعمار وظاهرة الرق في إفريقيا الغربية ، جامعة وهران ، 2016/2015 .

04 - كمال الجازولي ، الزنوجة وسط شواغل الفكر الإفريقي ، صحيفة سودا نايل ، 2018.

05- مونيس بخضرة، هيجل وإفريقيا في نقد ضحالة الوعي الاستعماري ، مجلة الاستغراب ، العدد 12 ، 2018.

06- أحمد شحيمط ،الأنا والآخر في الرواية العربية الحوار المتمدن ،العدد6139 ،2019

07- جمي حمداوي ، نظرية مابعد الاستعمار ، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد 12 ، 2018.

08- خلود البدري ، الكولونيالية ومابعد الكولونيالية ، صحيفة المثقف ،العدد 5117 ، 2020.

09- محمد بوعلي ، تمثلات صورة الآخر العربي والإفريقي في الأدب الفرنسي مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العام الثالث ، 23 ، 2016.

10- عمر أزراج ، التحليل النفسي كآلية لمقاربة الأدب الكولونيالي ، صحيف العرب السنة42 ، العدد 11405 ، 2019.

11- يوسف ضمرة ، ظلام جوزيف كونراد الدائم ن صحيف الرأي، 2012.

12- بيل أشكروفت وأخرين، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة ، ترجمة شهرت العالم ، بيروت لبنان ،ط1 ، 2006.

13- مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين ، مجلة الفكر العربي ، العدد 32 .

14- عبد العزيز ضويو، الكتابة بلغة الآخر صيرورة تجاذب وتفاعل ،مجلة جيل الدراسات الفكرية والأدبية ، العدد 59، 2020.

فـهرسة الـموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر

مقدمة .....أ-ج

مدخل 9-6

الفصل الأول

الاستشراق ودوره في رسم صورة سلبية عن الشرق

المبحث الأول

الاستشراق .نشأته. تطوره. أهدافه

تمهيد 12

المطلب الأول المطلب الأول

تعريف الاستشراق .بداياته .ومراميه

1-الاستشراق لغة واصطلاحا.....16-14

2 - نشأة الاستشراق وتطوره:.....19-17

3- أهداف الاستشراق: 20-19

المطلب الثاني

أصناف المستشرقين وعلاقة الاستشراق بالاستعمار

1- أصناف المستشرقين.....23-22

2- علاقة الاستشراق بالاستعمار.....25-23

المبحث الثاني

صورة الإفريقي والعربي في الأدب الكولونيالي.

تمهيد.....28-27

المطلب الأول

الأدب الكولونيالي مفهومه ، دلالته، نشأته.

1- تعريف مصطلح الكولونيالية.....32-30

2-نشأة الكولونيالية وتوسعها:.....35-32

3-مفهوم الأدب الكولونيالي..... 37-35

المطلب الثاني

علاقة الكولونيالية بالأدب، ونظرتها للآخر

3- علاقة الأدب بالكولونيالية 40-39
4- صورة الآخر (الإفريقي والعربي) في الأدب الكولونيالي.....46-40

المبحث الثالث

الدراسات مابعد الكولونيالية ودورها في كشف الأنساق المضمرة في الأدب الكولونيالي

تمهيد 49-48

المطلب الأول

أدب مابعد الكولونيالية،تعريفه ،أسسه المعرفية والفكرية ،وتفكيكه للموروث الإستعماري،وأهم رواده

1-تعريف أدب مابعد الكولونيالية 54-51
2- الأسس المعرفية والفكرية التي قام عليها.....57-54
3- أهم رواد نظرية مابعد الكولونيالية.....59-58

المطلب الثاني

دور الكتابة في تفكيك الموروث الاستعماري ونظرتها للآخر (الغربي)

،وأهم رواد هذه النظرية

3- الرد بالكتابة 63-61
4- صورة الآخر في ظل الكتابات مابعد الكولونيالية.....66-63

الفصل الثاني

الأدب الأمريكي وقضية الزنوج

المبحث الأول

الحركة الزنجية عبر الثقافات المختلفة

المطلب الأول

الحركة الزنجية. مفهومها. نشأتها .مرتكزاتها

أ/ مفهوم الزنجية ونشأتها.....75-70
ب/ مرتكزات الزنجية 79-75

المطلب الثاني

الزنجية في الثقافة الغربية والأمريكية

أ/ الزنجية في الثقافة الغربية.....85-81
ب/ الزنجية في الثقافة الأمريكية.....92-86

المبحث الثاني

دلالات غياب الشخصية الزنجية وحضورها في رواية أن تملك وألا تملك

لـ إرنست همنغواي

المطلب الأول

غياب الشخصية الزنجية أو تغييبها في الرواية

تمهيد 94

أ- تغييب الزنجي في الرواية وصمته 95-101

ب- تحقير الزنجي ووصفه بألفاظ دونية.....102-103

المطلب الثاني

دلالات حضور الشخصية الزنجية في الرواية

أ- دلالات الحضور.....105-108

ب- تجسيد العبودية في ظل الحضور.....109-110

خاتمة :.....112-113

المصادر والمراجع.....115-117

الفهارس.....118-121